T.C.
MARDİN ARTUKLU ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

Yüksek Lisans TEZİ

Ömer Ebu Rişe ile Bedevi el-Cebel'in Şiirlerinde Yabancılaşma

الاغتراب بين شعر عمر أبو ريشة وبدوي الجبل

Hüseyin Elcüneyt

Tez Danışmanı
Dr. Öğr. Üyesi. Ahmet ABDÜLHADİOĞLU

Mardin – 2020

T.C.

MARDİN ARTUKLU ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

TEZ ONAYI

Enstitümüzün Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı 17800027 numaralı öğrencisi Hüseyin ELCÜNEYT'in hazırladığı "**Ömer Ebu Rişe ile Bedevî el-Cebel'in Şiirlerinde Yabancılaşma (الاغتراب بين شعر عمر أبو ريشة وبدوي الجبل)**" başlıklı Tezli Yüksek Lisans tezi ile ilgili Tez Savunma Sınavı, Lisansüstü Eğitim-Öğretim ve Sınav Yönetmeliği uyarınca 13/01/2020 Pazartesi günü saat 13:00'da yapılmış, tezin onayına oybirliğiyle karar verilmiştir.

Danışman
Dr. Öğr. Üyesi Ahmet ABDÜLHADİOĞLU
Üye
Doç. Dr. Yaşar ACAT
Üye
Dr. Öğr. Üyesi Samer KATEA

ONAY:

Bu tezin kabulü, Enstitü Yönetim Kurulu'nun ……/…../20.. tarih ve ……/…… sayılı kararı ile onaylanmıştır.

…../…./2020

Enstitü Müdürü

المقدمة

تكمن **أهمية** الموضوع في أنّه يتناول ظاهرة إنسانية لها حضورها في القصيدة العربية المعاصرة، ويرصد البحث جملة التحولات السياسية والاجتماعية والنفسية وغيرها التي أسهمت في اغتراب شاعرين عاشا في زمن واحد وجغرافيا واحدة، ومرت عليهما ظروف تاريخية واحدة، كذلك يعنى البحث بشكلِ تلك التحولات كما ظهرت في شعرهما.

ومن **أسباب اختيار البحث** بروز ظاهرة الاغتراب في الأدب العربي المعاصر عامةً، وفي تلك الحقبة الزمنية التي عاشها الشاعران أبو ريشة والبدوي خاصة، وما لتلك الظاهرة من وقعٍ كبير في نفسي بعدما غدوتُ مع مئات آلاف السوريين داخل الجغرافيا السورية وخارجها في اغترابٍ طال كثيراً من جوانب الحياة.

وقد وقع اختيار البحث على عمر أبو ريشة وبدوي الجبل اللذين يعدان من أعمدة الشعر العربي المعاصر في القرن العشرين، ولا سيما أنّ كلّاً منهما كان ممن عاين ظروف ولادة الدولة السوريةِ بعد رحيل المستعمر الفرنسي، وما سبق ذلك من إرهاصات، وما لحق ذلك من تقلّبات. وشارك الشاعران في العمل الدبلوماسي إنْ داخلَ البلادِ أو خارجَها، فكانت بينهما قواسم مشتركة في ظروف الحياة والاغتراب، وبقي السؤال في نفسي: **هل تشابُهُ الظروفِ والتفاصيل بين شاعرين جمعَ بينهما الزمان والمكان وجملة الأحداث أفضى إلى اغتراب متشابهٍ بينهما كذلك؟ وكيف تجلّى ذلك الاغتراب في شعرِ كلٍّ منهما وهما أبناء جيل واحد؟**

ولذلك رأيتُ في البحث أن أحاول الجمعَ بين موضوع القصيدة وذات الشاعر، وبين سيرة حياته ومرآته الشعرية، وأستقصي جملة العوامل المشتركة بين الشاعرين حياةً وأدباً، ونقاط الاتفاق والاختلاف.

ومن **الصعوبات التي واجهت البحث** الحصولُ على مصادره ومراجعه الأساسية، ولا سيما الأعمال الشعرية الكاملة للشاعرين، بعد أن تقطّعت أوصال البلاد، ولم يعد ميسّراً أن يصلَ الباحث إلى المكتبات ودور النشر حيث يريد. بالإضافة إلى غياب بعض التفاصيل التي تخص حياة الشاعرين، مما دفعَ إلى البحث عنها في المصادر التاريخية والسياسية.

ومن أهم **الدراسات السابقة** التي تتعلق بالبحث:

- **الغربة في الشعر الجاهلي**، للدكتور عبد الرزاق خشروم: وهي دراسة صادرة عن منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، عام 1982م، بدأ المؤلف بتعريف الغربة، وميّز بين نوعين من الغربة، فإحداهما نشأت بدافع القهر، والثانية بدافع الذات.

- **الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري**، للدكتور محمد علي الفلاحي: وهي دراسة صادرة عن دار غيداء، عام 2013، بدأ المؤلف بالتعريف بمفهوم الاغتراب، ثم جعل الدراسة تطبيقية لمثيرات الاغتراب الخارجية، ثم لمثيرات الاغتراب الداخلية، فدرس فيه الاغتراب العاطفي والنفسي، وأفرد الدراسة التطبيقية للاغتراب السياسي في الفصل الثالث، وجعل الفصل الرابع إضاءات فنية.
- **التجربة الشعرية في شعر بدوي الجبل**، لـ رابح فروجي: وهي أطروحة دكتوراه، عن وزارة التعليم العالي في الجزائر، جامعة فرحات عباس، تناول فيها الباحث ماهية التجربة الشعرية ومصادرها عند بدوي الجبل، ومفاهيم الوفاء والانتماء والإيمان والحرية والحزن والحب في تجربة بدوي الجبل الشعرية.
- **دلالات السيرة والأسلوب عند عمر أبو ريشة**، للدكتور فايز الداية: وهو كتاب صادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، عام 2018، جعله الكاتب على خمسة فصول: الأول: عمر أبو ريشة، السيرة ودلالاتها، والثاني: وعي العالم في دلالات "عمر أبو ريشة"، والثالث: دائرة الخصب والولادة في شعر عمر أبو ريشة، والرابع: الموسيقا في شعر "عمر أبو ريشة"، والخامس: الصورة والدوائر الأسلوبية في شعر "عمر أبو ريشة".

واعتمدتُ **المنهج** الوصفي التحليلي والمنهج المقارِن، لِكَونِ دراسة ظاهرة الاغتراب في الأدب تعتمد على الملاحظة والوصف والاستقراء وتحليل العلاقة بين الظاهرة والشاعر، إذ يعتمد البحث على جمع الشواهد المنتمية إلى نمط اغترابٍ معيّن لدى كلّ شاعر، ودراسة العلاقة بينها وتحليلها والتعليق عليها، ثم إيجاد نقاط الاتفاق والاختلاف بين اغتراب الشاعرين في نمطٍ واحد، ومحاولة تفسير ذلك وتعليله بعيداً عن الخصائص الشعرية الأسلوبية في شعرِ كلٍّ منهما، بل انطلاقاً مما أصاب الشاعرَين من عواملَ خارجية محيطة أو داخلية وجدانية أدت بهما إلى أي نمطٍ من أنماط الاغتراب.

وأدرتُ البحثَ على فصلَين، الأول نظريٌّ، تناولتُ فيه مفهوم الاغتراب، وقد عني البحث بدراسةِ ستة أنواع من الاغتراب، وهي الاغتراب المكاني والزماني والسياسي والاجتماعي والديني والنفسي والعاطفي، جاعلاً الاغتراب العاطفي مندرجاً تحت الاغتراب النفسي وفقاً لما اقتضته مجريات البحث، وعرّجتُ فيه على حياة الشاعرين ومكانتهما وشعرهما. والفصل الثاني تطبيقيٌّ تناولتُ فيه الدراسة العملية لأنواع الاغتراب في شعر عمر أبو ريشة وبدوي الجبل، وبيّنتُ مواطن الاغتراب في كل نوعٍ على حدةٍ عند كلٍّ منهما، ثم عقدتُ مقارنةً بينهما في النوع الواحد، أفضَتْ إلى نتائج.

HÜSEYİN ELCÜNEYT
Mardin 10.12. 2019

الفهرست

المقدمة I
الفهرست III
الملخص VI
ABSTARCT VIII
المدخل 1
1. **الفصل الأول النظري:** 3
1.1. **الاغتراب لغةً:** 3
1.2. **الاغتراب اصطلاحاً** 4
1.3. **أنواع الاغتراب:** 8
1.3.1. الاغتراب المكاني: 8
1.3.2. الاغتراب الزماني: 9
1.3.3. الاغتراب الاجتماعي 10
1.3.4. الاغتراب السياسي: 11
1.3.5. الاغتراب الديني: 12
1.3.6. الاغتراب النفسي والعاطفي: 13
1.4. **بدوي الجبل؛ حياته وشعره:** 14
1.5. **عمر أبو ريشة؛ حياته وشعره:** 20
2. **الفصل الثاني التطبيقي:** 29
2.1. **الاغتراب المكاني بين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة:** 29
2.1.1. الاغتراب المكاني في شعر بدوي الجبل: 29
2.1.1.1. الاغتراب المكاني الذاتي: 29
2.1.1.2. الاغتراب المكاني الموضوعي: 37
2.1.2. الاغتراب المكاني في شعر عمر أبو ريشة: 38
2.1.2.1. الاغتراب المكاني الذاتي: 38

2.1.2.2. الاغتراب المكاني الموضوعي 42
2.2. **الاغتراب الزماني بين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة**.....45
2.2.1. الاغتراب الزماني في شعر بدوي الجبل.....45
2.2.1.1. الاغتراب الزماني الذاتي 45
2.2.1.2. الاغتراب الزماني الموضوعي.....49
2.2.2. الاغتراب الزماني في شعر عمر أبو ريشة:.....50
2.2.2.1. الاغتراب الزماني الذاتي 50
2.2.2.2. الاغتراب الزماني الموضوعي.....52
2.3. **الاغتراب السياسي بين شعر بدوي الجبل وعمر أبو ريشة** 54
2.3.1. الاغتراب السياسي في شعر بدوي الجبل:.....55
2.3.1.1. الاغتراب السياسي الوطني 55
2.3.1.2. الاغتراب السياسي القومي.....60
2.3.1.3. الاغتراب السياسي العالمي 63
2.3.2. الاغتراب السياسي في شعر عمر أبو ريشة.....64
2.3.2.1. الاغتراب السياسي الوطني 64
2.3.2.2. الاغتراب السياسي القومي.....67
2.3.2.3. الاغتراب السياسي العالمي 71
2.4. **الاغتراب الاجتماعي بين شعر بدوي الجبل وعمر أبو ريشة** 74
2.4.1. الاغتراب الاجتماعي في شعر بدوي الجبل.....75
2.4.1.1. الاغتراب الاجتماعي الذاتي.....75
2.4.1.2. الاغتراب الاجتماعي الموضوعي 80
2.4.2. الاغتراب الاجتماعي في شعر عمر أبو ريشة:.....81
2.4.2.1. الاغتراب الاجتماعي الذاتي.....81
2.4.2.2. الاغتراب الاجتماعي الموضوعي 85
2.5. **الاغتراب الديني بين شعر بدوي الجبل وعمر أبو ريشة**.....86
2.5.1. الاغتراب الديني في شعر بدوي الجبل 86

2.5.2. الاغتراب الديني في شعر عمر أبو ريشة 89
2.6. **الاغتراب النفسي والعاطفي بين شعر بدوي الجبل وعمر أبو ريشة** 93
2.6.1. الاغتراب النفسي والعاطفي في شعر بدوي الجبل.....93
2.6.2. الاغتراب النفسي والعاطفي في شعر عمر أبو ريشة.....99
الخاتمة.....104
المصادر والمراجع.....105
Özgeçmiş.....108
السيرة الذاتيّة.....110

الملخص

رسالة ماجستير

الاغتراب بين شعر عمر أبو ريشة وبدوي الجبل

حسين الجنيد

جامعة ماردين آرتوكلو

معهد العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

2020: 107 صفحة

تُعد ظاهرة الاغتراب من الظواهر الإنسانية البارزة في الشعر العربي عامة، وفي الشعر المعاصر خاصة، وشهد مطلع القرن العشرين تغيّرات كثيرة لعبت دورها في رسم ملامح الحياة الجديدة في سوريا التي كانت تحت حكم المستعمر الفرنسي، ومن ثم حصولها على الاستقلال، وتعاقب حكومات متعددة وتحولات كبيرة رسمت شكل الحياة السياسية والاجتماعية.

وقد عاصر الشاعران عمر أبو ريشة وبدوي الجبل تفاصيل الأحداث الجارية آنذاك، من بداية الربع الأول من القرن العشرين وصولاً إلى الربع الأخير منه. ولعب الشاعران دوراً في الحياة السياسية والاجتماعية، وتركت الأحداث أثراً كبيراً عليهما، تجلّى في شعرهما، فجاء هذا البحث ليتناول أنواع الاغتراب التي كانت في شعر عمر أبو ريشة وبدوي الجبل.

وهذي دراسة وصفية تحليلية جمعت بين شعر عمر أبو ريشة وشعر بدوي الجبل سُلّط الضوء فيها على أمور؛ أوّلها مفهوم الاغتراب من حيث اللغة والاصطلاح والأنواع، ثم التعريف بالشاعرين عمر أبو ريشة وبدوي الجبل وحياتهما ومكانتهما الشعرية، وثانيها دراسة أنواع الاغتراب كما تجلت في شعرِهما، وهي الاغتراب المكاني والزماني والسياسي والاجتماعي والديني والنفسي والعاطفي.

ويعنى البحث بالمقارنة بين الشاعرين من حيث أثر الأحداث التي عاشاها في ظهور الاغتراب في شعرهما، وتبيان جملة الاتفاقات والاختلافات في كل نمط من أنماط الاغتراب.

عمد البحث إلى تقديم بعض المفهومات النظرية المرتبطة به، ثم الدراسة التطبيقية في قصائدِ أبو ريشة والبدوي، وتلمّس تفاصيل الاغتراب في الحياة في سوريا عامة، وتفاصيل الاغتراب في تلك القصائد على وجه الخصوص، ثم انتهى البحث إلى نتائج.

الكلمات المفتاحية: الشعر العربي، الاغتراب، عمر أبو ريشة، بدوي الجبل.

Özet

Yüksek Lisans TEZİ

Ömer Ebu Rişe ile Bedevi el-Cebel'in Şiirlerinde Yabancılaşma

Hüseyin Elcüneyt
MARDİN ARTUKLU ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
2020 :107 Sayfa

İğtirâb (yabancılaşma) olgusu, genel olarak Arap şiirinde ve özellikle çağdaş Arap şiirinde, birçok nedene bağlı olarak kişinin çevresine veya kendisine, ilaveten şairin şiirinde tezahür eden ve sanatsal bir yabancılaşmaya dönüşen olgulardan biri olarak kabul edilir.

XX. yy.'ın başında birçok gelişme yaşanmış ve bu gelişmeler söz konusu dönemde Fransız sömürgesi altındaki Suriye'de yeni bir hayat tarzının şekillenmesinde rol oynamıştır. Suriye'nin bağımısızlığını kazanmasından sonra farklı hükümetlerin yönetimin başına geçmesi ve birçok değişimin yaşanması, siyasi ve toplumsal hayatın da şekillenmesine yol açmıştır.

Bu dönemin şairlerinden Ömer Ebû Rîşe ve Bedevi el-Cebel, XX. yy.'ın ilk çeyreğinden bu asrın son çeyreğine kadarki süreç içinde bu dönemde olup bitenlere ayrıntılarına kadar şahitlik etmişlerdir. İki şair dönemin siyasi ve sosyal hayatında önemli rol üstlenmişlerdir. Aynı şekilde bu dönemin olayları her iki şair üzerinde derin etkiler bırakmıştır ki bu etkiler her iki şairin şiirlerinde kendini açıkça göstermektedir.

Bu çalışma, Ömer Ebû Rîşe ile Bedevi el-Cebel'in şiirlerinde kendisini gösteren yabancılaşmayı ele almaktadır.

Çalışma, aynı zamanda Ömer Ebû Rîşe ile Bedevi el-Cebel'in şiirlerini bir araya getirmek suretiyle analitik ve tasviri tahlillere tabi tutmuştur. Çalışmada öncelikle yabancılaşmanın sözlük ve ıstılahi anlamlarına ve yabancılaşma türlerine yer verilmiş, daha sonra iki şair yani Ömer Ebû Rîşe ile Bedevi el-Cebel hakkında bilgilere yer verilmiştir. Daha sonra ise her iki şairin şiirlerinde ortaya çıkan mekansal, zamansal, siyasi, toplumsal, dini, psikolojik ve duygusal yabancılaşma gibi farklı yabancılaşma türlerine değinilmiştir.

Çalışmada aynı zamanda iki şair arasında, her birinin yaşamış olduğu olaylar üzerinden detaylı bir kıyaslama yapılmış, daha sonra bu olaylar sonucunda her iki şairin şiirlerinde ortaya çıkan yabancılaşmaya değinilmiş, söz konusu yabancılaşmanın her iki şairde farklı ve benzer yansımalarına değinilmiştir.

Çalışmada, konuyla ilgili teorik kavramlar ele alınmış, daha sonra Ömer Ebû Rîşe ile Bedevi el-Cebel'in şiirleri üzerinde uygulamalı çalışmaya yer verilmiş, genel anlamda Suriye toplumunun hayatında yabancılaşma ile bu yabancılaşmanın şiirlerdeki yansımalarına teferruatlı bir şekilde yer verilmiş, en son bölümünde ise sonuç kısmına yer verilmiştir.

Anahtar kelimeler: Arap şiiri, Yabancılaşma, Ömer Ebû Rîşe, Bedevî el-Cebel.

ABSTARCT
MASTER THESIS

Alienation between the poetry of Omar Abu Risha and Badawy Al jabal

Hüseyin Elcüneyt
Mardin Artuklu University
Institute of Social Sciences
Department of Basic Islamic Sciences
2020:107 Pages

The phenomenon of alienation is considered one of the prominent human phenomenon in Arabic poetry in general and in modernist poetry in particular, this is due to the many reasons that make a person estranged from one's surroundings or oneself, as well as the alienation of poets and how it is shown in their poetry. The twentieth century had witnessed many changes that played a role in shaping the new life in Syria that was under the rule of the French colonizer, then the independence and the succession of numerous governments and the major transformations, all shaped the political and social life.

The two poets, Omar Abu Risha and Badawy Al Jabal, had lived through those events from the beginning of the first quarter of the twentieth century to the last quarter of it. These two poets played a role in the social and political life, and that influenced them greatly, which was reflected in their poems. This research deals with the types of alienation in the poems of Omar Abu Risha and Badawy Al Jabal.

This is a descriptive, analytical study that combined their poetry and highlighted several matters. Firstly, the concept of alienation in terms of language and idiom and types of alienation, then introducing the two poets, their lives and poetic value. Secondly, studying the types of alienation in their poems, which are spatial, temporal, political, social, religious, psychological, emotional, alienation.

This research deals with the phenomenon of alienation in the poems of Omar Abu Risha and Badawy Al Jabal, and the relationship between each of the poets and his poems, then between the poet and details of his life that lead to the occurrence of alienation in his poems

The research compares the two poets in terms of the events that happened to each of them, then compares the effect of those events on the emergence of alienation in their poetry, then it shows the similarities and differences in each type of alienation.

The research presents the theoretical concepts related to it, then the applied study in the poems of Abu Risha and Badawy Al Jabal, it shows the details of alienation in Syria generally and in their poems particularly, then it comes to end with conclusions.

Keywords: Arabic poetry, Alienation, Omar Abu Risha, Badawy Al Jabal.

المدخل

شهد مطلع القرن العشرين حالة من عدم الاستقرار في بنية المجتمعات العربية؛ إذ كان لأفول الدولة العثمانية ومجيء الاستعمار الغربي إلى البلدان العربية سواء بالانتداب أو باتفاقيات الحماية الأثر الكبير في تحوّل استقرار المجتمع وما كان عليه إلى شكل جديد، تفرعت تحته أنماط جديدة كذلك في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية...إلخ.

وغدت المجتمعات العربية تحت حكم الاستعمار الغربي الأجنبي الذي قسّم البلاد وتقاسمَ النفوذ، لتخوض المجتمعات العربية صراعاً كبيراً مرَّ بمراحلَ متعددة وأشكال مختلفة للحصول على حريتها ونيل استقلالها، بعد أن تجزّأ الوطن الكبير وقامت الحدود بين أجزائه، وقد أثّرت تلك العوامل في تكوّن ظاهرة الاغتراب داخل حدود الوطن وخارجه.

وعملت بعض الأحداث المفصلية الكبيرة في المنطقة العربية على المساهمة في تنامي ظاهرة الاغتراب، كاستلاب الأرض واغتصاب الحقوق، وتوطين الصهاينة على أرض فلسطين، ثم انهزام الجيوش العربية وفشلها في الدفاع عن واحدٍ من مقدّساتها الدينية والحضارية والإنسانية، لتبدأ رحلة اغتراب أخرى على أرض الوطن الكبير، تمثلت بخروج الفلسطينيين من أرضهم التي خسروها بتقاعس الأنظمة العربية عن حماية الأراضي الفلسطينية، والتواطؤ مع الغرب والصهيونية العالمية لتنفيذ مشروعِ الاستيطان الإسرائيلي على الأرض العربية.

ترافقت تلك الأحداث بتحولات كبيرة على أصعدة أخرى، كالحياة الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والنفسية والعلمية ونحوها، سلبت المجتمع العربي هويته، وطغت ملامح الاغتراب على تفاصيل الحياة، وأسهمت في تقويض بناء الدولة الحضارية المعاصرة على غرار نظيراتها في العالم التي باتت تشهد تقدّماً في شتّى الأصعدة، فكانت حركات التحرر الوطنية وظهور تيارات النهضة والتنوير للخلاص من الاستلاب والانقياد بحثاً عن الاستقلال والنهوض الفكري والحضاري في سبيل تحقيق الذات الفردية والجماعية، غير أن محاولات النهوض ما لبثت أن اصطدمت بواقع قاس تعيشه الأمة العربية على جميع الأصعدة.

ولم يُسهم الاستقرار النسبي الذي عاشته بعض المجتمعات العربية في بناء تحوّل حضاري فاعل، ولذلك اتسعت الهوّة في الذهنية العربية بين الحاضر الأليم والماضي القديم المجيد الذي حققت فيه المجتمعات العربية زهوَ انتصاراتها وحضارتها، وباتت الشخصية العربية مغتربةً مستلبة، يتجلى اغترابها في شتى ميادين الحياة.

ومنذ القديم كان الشعر العربي –وهو ديوان العرب– مرآةً تعكس تفاصيل الحياة، وتتجلى فيها معاناة الفرد والمجتمع؛ إذ يجد الشاعر في قصيدته فسحةً للتعبير والشكوى، أو ريشةً يحاول بها رسمَ ملامح حياته التي يريدها، مقابل حياة قاسية يعيشها، وغدت القصيدة العربية أداة الشعراء وصورة الواقع وموطن الأحلام.

وإذا كانت دراسة الشعر العربي عامّةً في القرن العشرين تساعد على فهم طبيعة الظروف التي مرت، وتعين على استقصاء التحولات الفردية والجماعية التي أصابت الأفراد والمجتمع، فإن لتلك الدراسة مزيّة خاصّة في شعر الشاعر الذي تميّز في مجتمعه وكان من الطليعة السياسية التي نشطت في مراحل مختلفة ومواقع متعددة. من أجل هذا كانت دراسة الاغتراب في شعر بدوي الجبل مهمة، وهو الشاعر الذي بدأ حياته النضالية والسياسية في عمرٍ مبكر، وعانى بسبب مواقفه نفياً وهجرةً واغتراباً، فسجّلَ له ديوانه صورةَ حياته فرداً، إضافة إلى صورة مجتمعه الذي حمل قضاياه وهواجسه وفق ما يرى، كما كانت دراسة الاغتراب في شعر عمر أبو ريشة بالمكانة ذاتها، وهو الشاعر الذي تأصلَ بالثقافة العربية، وانفتح على الثقافة الغربية، متقناً لغاتٍ عديدة، ثم عمل بعد ذلك سفيراً في شتى بلدان العالم، فجاء ديوانه حاملاً ذاتَه وذاتَ المجتمع الذي ينتمي إليه وفق رؤاه الشعرية.

ويمكن القول إن ظاهرة الاغتراب في شعر بدوي الجبل وعمر أبو ريشة تعبّر عن اغتراب الشخصية العربية المثقفة آنذاك والطليعة السياسية الواعية، ولا سيما فيما يخص الموضوعات المشتركة بينهما والقضايا المصيرية التي رآها الشاعران. كما تعبّر ظاهرة الاغتراب في شعرِهما عن تجليات الاغتراب في الشعر العربي عامّةً في القرن العشرين والشعر السوري خاصّة، بما مثّلاه من مراحل زمنية من خلال شتى التجارب السياسية والاجتماعية والأدبية.

1. الفصل الأول النظري:

1.1. الاغتراب لغةً:

جذرُ الاغتراب هو (غرب)، ومما جاء في لسان العرب:[1]

الغرْبُ: الذّهابُ والتّنحي عن الناس. وقد غرَبَ عنّا يغرُبُ غَرْباً، وغرَّب وأغربَ وغرَّبه: نحّاه.

وفي الحديث: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أمر بتغريب الزاني سنةً إذا لم يُحصن، وهو نفيه عن بلده.

الغَرْبةُ والغرَبُ: النّوى والبُعد. والنّوى هو المكان الذي تنوي أن تأتيه في سفرك.

ودارُهم غَرْبةٌ: نائية.

والخبرُ المغرِب: الذي جاء غريباً حادثاً طريفاً.

ويقال: غرّبَ في الأرض وأغربَ إذا أمعن فيها.

والتغريبُ: النفي عن البلد.

وغَرَبَ: أي بَعُدَ، ويقال: اغرُبْ عني أي تباعدْ.

والتغرُّبُ: البُعدُ.

والغُرْبةُ والغُرْبُ: النزوحُ عن الوطنِ والاغتراب.

والاغترابُ والتغرّبُ كذلك، أي النزوحُ عن الوطن. ومنه: تغرّبَ، واغتربَ، وقد غرّبَه الدّهر.

ورجلٌ غُرُب، وغريب: بعيد عن وطنه، والجمع: غرباء. والغُرُب والغريب: ليس من القوم.

واغتربَ الرجل: نكحَ في الغرائب، أي تزوّجَ إلى غير أقاربه.

والغرباء: الأباعد.

والغريبُ: الغامض من الكلام.

إن معظم المعاني الواردة في مادة (غرب) جاءت مشيرة إلى خروج عن المألوف المعتاد أو نتوء بارز عن الحالة الطبيعية والنسق المعروف، فمنها البُعدُ والنزوح خلاف القُرب، ومنها التنحّي عن النّاس خلاف المخالطة والمعاشرة، ومنها التصاهر مع الأباعد خلاف الأقارب، ومنها الطريف المختلف خلاف التليد المؤتلف، ومنها النأيُ والنفي.

ولعل جملة هذه المعاني تصبّ في معنى الاختلاف عن الأصل والتغيّر عن الطبيعة الأولى.

---

[1] ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، مادّة: (غرب).

1.2. الاغتراب اصطلاحاً:

المعاني الواردة في مفهوم الاغتراب من حيث اللغة ليست بمنأى عن المعنى الاصطلاحي المتعدد الوجوه، ولم تكن مدلولات الاغتراب في اللغة ذات مفهوم واحد أو مسار محدد كالابتعاد عن الوطن أو النزوح عنه، بل كان ثمة مفهومات اجتماعية كالذهاب عن الناس والتخفي عنهم، وأخرى نفسية وربما دينية أيضاً...إلخ.

وبالرغم من الدراسات الكثيرة والأبحاث المتعددة التي حاولت وضع المفهوم الدقيق لمصطلح "الاغتراب"، فإنها لم تتطابق تماماً فيما ذهبت إليه، ولكنها في المقابل لم تخرج عن معاني العزلة والوحدة والبُعد والشعور بالاختلاف عن المحيط الإنساني أو الجغرافي وغير ذلك.

جاءت في التراث العربي والإسلامي إشارات كثيرة حول الغربة والاغتراب، ابتداءً من أصول المعاني اللغوية المعجمية وصولاً إلى السياقات النصية الصريحة في الحديث عن ذلك، لكنها لم تحظَ بالدراسة والاهتمام ما حظيت به عند روّاد الغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. قد نجد بعضاً من هذه المعاني في التراث العربي؛ إذ كانت مجرد إشارات عاجلة وأقوال مقتضبة، تداخلت فيها المصطلحات بين الغربة والاغتراب والتغريب ونحو ذلك. كما تداخل فيها الاغتراب المكاني بالنفسي، والذاتي بالموضوعي. أورد التوحيدي (ت414هـ) أبياتاً تصف حالَ غريبٍ نأى عن ديارِه، فاستذلّته حاله، وقلّ مناصروه، ثم علّق التوحيدي بالقول: "هذا وَصْفُ غريبٍ نأى عن وطن بُني بالماء والطين... فأين أنتَ عن قريبٍ قد طالت غربتُه في وطنه، وقلّ حظّه من حبيبه وسكنه؟".[1]

يتحدث التوحيدي عن غريب وهو في وطنه، بعد أن طالت غربته فيه، ولا حظَّ له من سكنه أو حبيبه، إنّ هذا فقدٌ للذات بفقدِ الحبيب والسكن، وهو من لواعج الاغتراب النفسي. وإلى هذا المعنى ذهب الأصفهاني (ت356هـ/967م) بالقول: "فقدُ الأحبّة في الأوطانِ غربة، فكيف إذا اجتمعت الغربة وفقد الأحبة".[2]

وهذا هو معنى الاغتراب الاجتماعي حين يفقد المرء أهله وأحبابه في وطنه، وربمّا يتبدّى بصورة الاغتراب النفسي، أو يكون اغتراباً مكانياً أيضاً.

---

[1] التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس، **الإشارات الإلهية**، تح: د. وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1982، ص81.

[2] الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين، **أدب الغرباء**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1972، ص32.

ويتابع التوحيدي وصفه، حتى يكاد يمسك بأنواع الاغتراب الأكثر شهرة، فيرى أن الغريب هو من يبحث عن أهلٍ يأنس بهم، ووطن يأوي إليه، وند يم يُسِرّ إليه، خلاصاً من حزنٍ أصابه، وشجنٍ وقع فيه، بعدما شتّتَهُ الزمان والمكان.[1]

ولسنا في هذا البحث بصدد تتبع الخط البياني لمصطلح "الاغتراب" منذ بداياته حتى اليوم، ولكنْ لا نستطيع أن نغفل بعض الآراء المهمة التي أسست لمفهومات الاغتراب.

ولا ريب أن لكل مصطلح مجاله، وأن ثبات المصطلح في مجاله الأصيل أمر عسير، بسبب تداخل العلوم الإنسانية وتجاور بعضها بعضاً، ولهذا فإننا نجد مثلاً أنّ مصطلح "الاغتراب" ينزاح من علمٍ إلى آخر، وتنسحب عليه نظرياتٌ عديدة وتطبيقات مختلفة ومفهومات متنوعة، تلعب الظروف التاريخية وتطور المجتمعات دوراً في تحديد ذلك.

ورأى بعض الباحثين أن ظاهرة الاغتراب ذات منشأ إنساني قديم، ولعل فلاسفة اليونان الأقدمين كانوا ممن حاول معالجة ظاهرة الاغتراب، كأفلاطون الذي بنى فلسفته أصلاً على الاغتراب الواعي، متجسدةً في البحث عن مدينته الفاضلة وعالم المُثُل، وكانت جمهوريته تجسيداً لهذه الفكرة الاغترابية.[2] إن فلسفة أفلاطون تقوم على الغيبيّات وعالم الظِلال، وليس على معطيات الواقع، ولعل ذلك عائد إلى محاولة أفلاطون الهرب أصلاً من عناصر الواقع الذي تجسد اغترابه فيه إلى عالم آخر.

ورد مصطلح الاغتراب وهو باللاتينية (**Alenatio**) في أدبيات العصور الوسطى في سياقات ثلاثة مختلفة:[3]

الأول: سياق قانوني: ويعني انفصال الملكية عن صاحبها وانتقالها إلى آخر.

الثاني: سياق نفسي اجتماعي: ويعني تغرّب الإنسان عن ذاته ومخالفته لما هو في المجتمع.

الثالث: ديني: ويعني انفصال الإنسان عن الله.

وواضح من السياقات الثلاثة السابقة أن الاغتراب اصطلاحاً له مدلول مختلف عن الآخر بحسب السياق والاختصاص وربما العلاقة بين المصطلح وبين نصّه. ولكن رغم هذا الاختلاف، فإن قاسماً مشتركاً بارزاً بينها، وهو معنى **الابتعاد والمفارقة**، إذ نجده معنًى ملازماً للسياقات الثلاثة.

---

[1] ينظر: **الإشارات الإلهية**، ص82.

[2] ينظر: الألوسي، عادل، **الاغتراب والعبقرية**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص12

[3] ينظر: رجب، محمود، **الاغتراب سيرة مصطلح**، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988م، ص10

ومع مجيء العصور الحديثة، وبروز نظرية العقد الاجتماعي، ولا سيما في القرن الثامن عشر أطلق (جان جاك روسو ت1778م) مصطلح "الاغتراب" للدلالة على تنازل الفرد عن حقوقه لمجتمعه وتخليه عن ذاته الخاصة أمام البناء الاجتماعي.[1]

ومن الواضح أن (روسو) أورد مصطلح الاغتراب بداية في سياق إيجابي لا سلبي، في إطار الثناء على الفرد لمساهمته في بناء العقد الاجتماعي، لكنه ما لبث أن أكّد المدلولَ السلبي في إطار الحديث عن ذوبان الحالة الفردية أمام الحالة الجماعية.

ويكاد الباحثون يتفقون على أنّ (هيجل ت1831م) كان سبّاقاً في التفصيل الممنهج لمصطلح الاغتراب، حتى عدّوه مرحلةً شبه مستقلة عمن سبقه وعمن لحق به، "ويلاحظ أنّ هيجل يستعمل مصطلح (اغتراب) بصورة مزدوجة، فهو في بعض معالجاته يستعمله في سياق الانفصال، وفي مواقع أخرى من بحوثه يعطيه معنى التخلي أو التنازل".[2]

ويعني هيجل بمفهوم الانفصال انقطاعَ العلاقة بين الفرد وبين طبيعته الجوهرية الذاتية وفقدان حريته، وهو الاغتراب الذاتي و"عدم التعرّف إلى الذات وهو اغتراب سلبي".[3]

والاغتراب عند كارل ماركس (ت1883) اغتراب سلبي بالمطلق وذلك في السياق الاقتصادي الذي استطاعت فيه الرأسمالية أن تحوّل العامل إلى إنسان مستغَل يعاني اغتراباً تُجاه منتجه نفسه، وبهذا يكون ماركس قد نقل مفهوم الاغتراب إلى عالم الاقتصاد حين تحدث عن العامل المقيَّد والعاجز أمام القوى المتحكمة، ويرى ماركس أنّ الإنسان إذا "أصبح مغرَّباً عن عمله اليومي، فهو بالضرورة يكون قد اغترب عن نفسه وعن إمكاناته الخلاقة والأواصر الاجتماعية التي تتحدد من خلالها إنسانيته".[4] يرى ماركس أن الاغتراب الاقتصادي سبب لما يصيب الإنسان من اغتراب اجتماعي أو نفسي ونحو ذلك.

ومن الملاحظ أن المفكرين الغربيين أعلاه يقدمون مفهوم الاغتراب استناداً إلى ما يسود في عصرهم، فـ(جاك روسو) مثلاً قدّم مفهوم الاغتراب بالنظر إلى ما يسود في عصره من نظرية العقد الاجتماعي، وماركس قدّم مفهومه في ظل المجتمع الصناعي، وعلى هذه الشاكلة ينطلق المفكرون في بناء مفهوم الاغتراب،

---

[1] ينظر: رجب، محمود، **الاغتراب سيرة مصطلح**، ص11

[2] النوري، قيس، **الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً**، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد 1، 1979، ص20.

[3] الفلاحي، أحمد علي، **الاغتراب في الشعر العربي**، دار غيداء، عمان، ط1، 2013، ص21.

[4] النوري، قيس، **الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً**، ص21.

ولذلك يمكن القول: إن العوامل المؤثرة في إطلاق مفهوم الاغتراب عند المفكرين الغربيين تقوم على عاملين اثنين:

الأول يرتبط بما يسود في ذلك العصر. **والثاني** يتعلق بتوجه المفكر نفسه والتخصص المعني به، وعلى ذلك يرى اللاهوتيون الإنسان المغترب "يتعرض للاغتراب عن عقائده الروحية، وهو يعاني من الانفصال عن التجارب الزاخرة بالمعاني الروحية التي يخلقها التفاعل مع الناس والنظم والذات وحتى الطبيعة".[1]

وأمّا جان بول سارتر (ت1980م) صاحب المذهب الوجودي فيرى الاغتراب أنه "اغتراب الموجود البشري عن وجوده العميق، بحيث لا يكون ذاته، وإنما مجرد صفر على الشمال في الوجود الجمعي للجماهير أو ترس في نظام صناعي أو ما شئتَ من الأوصاف".[2]

وهكذا يمكن تفسير الاغتراب في سياق علم النفس أو علم الاجتماع كما سيتضح لاحقاً في أنواع الاغتراب.

ولا يخفى على الباحث أن ميادين الفكر الغربي كانت سبّاقة قبل سواها إلى العناية بمفهوم "الاغتراب"، والبحث في ماهيته ومستوياته وعلاقاته بالإنسان والوجود والغيب. وربما يرى باحثٌ أن ذلك عائد إلى كون الاغتراب هو المعادل الموضوعي للواقع الاجتماعي الصعب والمُرّ الذي كانوا عليه، في ظل الضياع الوجودي المادي والنظام الحياتي الذي لا روح فيه، فكثر القلق والإحباط والتوتر والعبث والفساد، وأدى كل ذلك إلى الاغتراب والإحباط والانتحار رغم علوِّ شأن العلم الذي عنوا به.[3]

وخلاصة القول:

ميّز الباحثون بين الغربة المادية وهي الابتعاد عن الوطن والأهل والأحبة، وهذا الذي عُرفَ بمصطلح "الغُربة"، وبين الغربة المعنوية وهي الخروج على ما تعارف عليه الناس وتقاليدهم ومبادئهم وحياتهم الطبيعية.[4] وبالرغم من تداخل المصطلحات بين الغربة والاغتراب، نستطيع القول: إن الغربة المعنوية لا تنحصر بالخروج على مبادئ الناس، بل هي شعور الفرد بعدم التآلف مع المحيط أو الآخر، وانعدام القدرة على التكيف، وهذا الذي نصطلح عليه بـ**"الاغتراب"**.

---

[1] النوري، قيس، **الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً**، ص29.

[2] ماكوري، جون، **الوجودية**، تر: د. إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، أكتوبر، 1982، ص225.

[3] يُنظر جمعة، حسين، **الاغتراب في حياة المعري وأدبه**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد1 و2، 2011، ص26.

[4] خشروم، عبد الرزاق، **الغربة في الشعر الجاهلي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982، ص14.

فالغربةُ جزءٌ، وهي الغربة المادية، والاغترابُ كلٌّ، وهو الفقدُ والبعد، والنأي والنفي، يضيق بمفهومه ليكون حيث يعيش المرء خارج وطنه، أو يتسع بمفهومه ليطول الذات البشرية في عقر دارها حيث أُلِفت أن تعيش، فتنعدم العلاقة المتوازنة بين الذات وبين المحيط الداخلي القريب أو مع المحيط الخارجي، وتندرج تحته ألوان وأنواع من الاغتراب ترتبط ببواعثه المكانية أو الزمانية أو السياسية أو العاطفية أو النفسية أو الاقتصادية أو الدينية...إلخ.

1.3. أنواع الاغتراب:

رأينا أن ما يندرج تحت مفهوم الاغتراب من أنواع يمكن تصنيفه تبعاً لبواعثه أو دوافعه، وقد تتداخل الحدود بين أنواع الاغتراب إلى درجة يصعب التمييز بينها، غير أنّه من السهولة بمكان وضع الإطار العام لأنواع الاغتراب التي يعانيها المغترب. ومظاهر الاغتراب قد تنجم عن عوامل مكانية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو دينية ونحو ذلك، غير أننا سنتناول الأنواع التي يُعنى البحث بتطبيقها بعد استقراء أنواع الاغتراب في قصائد الشاعرين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة.

1.3.1. الاغتراب المكاني:

تتجلى العلاقة بين الإنسان والمكان بروابط وثيقة تنشأ بينهما، ويلعب المكان دوراً رئيساً في تشكيل علاقة الإنسان بالحياة عامة، ونمط تفكيره ووعيه خاصة، ثم يتعلق الإنسان بمكانه وموطن صباه، حتى إذا غادره مكرهاً، أو فارقه طوعاً، فكأنما استُلّ عن ذاته، وظلت نوازع الشوق والحنين إلى موطنه تصرخ في وجدانه، ولهذا كان النفي عن الوطن والأرض من أشد أنواع العقوبات، "والغريب كالغرس الذي زايلَ أرضَهُ، وفقدَ شِربه، فهو ذاوٍ لا يُثمر، وذابل لا ينضُر".[1]

أخذت الدلالة المكانية لمفهوم الغربة والاغتراب الحيز الأكبر في المعجم العربي، ولا شك في أن الاغتراب المكاني خارج الوطن هو الظاهرة الأساسية والمدلول الأول في مفهوم الاغتراب المكاني، لما يرافق ذلك من مشاعر الحنين إلى الربوع والحزن على الديار والتطلع إلى العودة ثانية، خاصة إذا كان الاغتراب متولداً عن أسبابٍ قهرية كالنفي والإبعاد وضرورات الحياة، "إلا أنّ الإحساس بالاغتراب المكاني خارج الوطن لا ينتهي عند الحنين إليه والحلم بالرجوع، وإنما يرافقه صراع حادٌّ داخل النفس الإنسانية، قد ينتهي بها إلى أي مظهر من مظاهر الاغتراب الروحي أو النفسي".[2]

---

[1] الجاحظ، عثمان بن عمرو، **رسائل الجاحظ**، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2، ص387.

[2] الفلاحي، أحمد علي، **الاغتراب في الشعر العربي**، ص86.

يقع الاغتراب المكاني خارج الوطن حين يترك المرء وطنه وديارِه وأهله وأحبته، مفارقاً بيئته المكانية إلى بيئة أخرى، قد يتوافق معها أو يأتلف، ولكنه يظل ينزع إلى بيئته الأولى وتفاصيلها، فإذا لم يقع الائتلاف بينه وبين بيئته الجديدة زاد ذلك من اغترابه، ويقع الاغتراب المكاني داخل الوطن أيضاً، وقد مرّ معنا مثل ذلك فيما قاله الأصفهاني وأبو حيان التوحيدي، ولعل الاغتراب المكاني هذا من أشد الدرجات وأقساها، وهو فقدان الصلة الدافعة إلى الاطمئنان بين الإنسان ومكانه، فيشعر الإنسان باغتراب مكاني قاسٍ، وهذا الاغتراب مرتبط بجملة من العوامل كفقدان الأحبة في ذلك المكان كقول البحتري (ت284هـ/897م) مثلاً بعد رحيل المتوكل عن قصر الجعفري:[1]

تحمَّـــلَ عَنْـــهُ ســـاكنوهُ فُجَـــاءةً فَعـــادَتْ سَـــواءً دورُهُ ومقـــابرُه

وقد يكون هذا الاغتراب مرتبطاً بعوامل أخرى كالشعور بالتميز المترافق مع انعدام تقدير ذلك في الوطن، ونجد لهذا المعنى شواهد كثيرة في الشعر العربي، ومنها قول المتنبي (ت354هـ/965م):[2]

وهكـذا كُنـتُ فـي أهلـي وفـي وطنـي إنَّ النفـــيسَ غريـــبٌ أينمـــا كانـــا

وقد يرتبط هذا الاغتراب المكاني بالعامل الذاتي النفسي، فتغترب ذات الإنسان وينسحب اغترابها على المكان، ونجد مثل ذلك في قول نزار قباني (ت1998م):[3]

كـــلُّ المنـــافي لا تبـــدّدُ غُربتـــي مـــا دام منفـــايَ الكبيـــرُ بـــداخلي

على أن الاغتراب المكاني قد لا ينحصر كذلك في شعور الذات الإنسانية بالاغتراب عن المكان سواء داخل الوطن أو خارجه، فقد يمتد الاغتراب إلى إحساس الشاعر باغتراب مكاني عند الآخر، من بشر وحيوان وحجر، ولعل هذا يشكل نمطاً متميّزاً من أنماط الاغتراب المكاني، حين يستطيع الإنسان تجاوز الذات الفردية إلى الإحساس بالموجودات المحيطة، سواء كانت بشرية أم جمادات أم حيوانات، كما سيتضح في الدراسة التطبيقية، حيث اصطلحنا عليه بـ(الاغتراب المكاني الموضوعي).

1.3.2. الاغتراب الزماني:

لا يقل عامل الزمان أهمية في إحداث الاغتراب في النفس البشرية عن عامل المكان، ولا سيما أن كلا العاملين ينتمي إلى مفهوم البيئة، فثمة قرابة معنوية بين المكان والزمان لسنا في مقام شرح العلاقة بينهما.

---

[1] البحتري، أبو عبادة التنوخي الطائي، **ديوان البحتري**، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3، مج 2، ص1046.

[2] المتنبي، أحمد بن الحسين، **ديوان المتنبي**، دار بيروت، بيروت، 1983، ص182.

[3] قباني، نزار، **قصائد مغضوب عليها**، الأعمال السياسية الكاملة، بيروت، دار نوفل، 2008، ط3، مج6، ص12.

ولا شك في أن تفاعل الإنسان مع الزمان هو تفاعل فطري، وأن الأثر الذي يتركه الزمان في النفس البشرية هو أثر فاعل وعميق؛ لأن حركة الزمان لا تتوقف ولا يمكن لها أن تتوقف، فيشعر المرء بالأسى والحزن على ما فات من عُمره، وما ضيع من لحظات وأوقات، فيتحسر الإنسان على زمن الشباب الأول، وعلى عهود الاستقرار وراحة البال، وعلى أيام السعادة والرخاء.

ويجد الباحث أن المترادفات اللفظية التي تنتمي إلى الحقل اللغوي للزمان كثيرة إلى درجة أننا ندرك مدى الفاعلية والتغلغل النفسي لكل لفظة من تلك الألفاظ في حياة الإنسان، كالدّهر والسنين والأيام والسنوات والذكريات والعهود...إلخ.

وينسب كثير من الشعراء ما يحل بهم إلى الزمان وحوادثه، وصروفه وتقلباته، وكانوا "يحمّلونَ الزمان الكثير من نزاعاتهم النفسية المتولدة بفعل الانتكاسات التي لا توافق الطموح، وكأنه هو الذي يُصرّف الأمور، والمسؤول عن تلك التقلبات التي رافقت طباع الناس وسلوكهم بما لا يتلاءم وأهواء الشاعر وميوله وآماله".[1] ونرى أن الاغتراب الزماني في الشعر ظاهرة عامة واضحة، لا يفتأ الشاعر يذكر عهوده السابقة وماضيه الذي يطل جميلاً دوماً إزاء الحاضر الذي غدا قاسياً، وتغيّرت فيه كل عوامل القوة والجمال والحياة. وترتبط بالاغتراب الزماني قضايا مركزية في جوهر الحياة، كالهرم والشيب والموت وفقدان الأحبة، ولذلك تظهر بارزة جلية في مرآة الأدب، وتنعكس واضحة في ظلاله.

1.3.3. الاغتراب الاجتماعي:

يعيش الإنسان في مجتمعه الذي ألفه واعتاده، وعرف مبادئه وتقاليده وعاداته، وانتخب لنفسه منه أصحاباً وأصدقاء، لتتشكل علاقة بين الفرد ومجتمعه، تقوم على حاجة الفرد الضرورية إلى الحياة الاجتماعية بكل تفاصيلها.

وربما تتعارض التطلعات الفردية مع تطلعات المجتمع وقيمه، وهذا ما يعرف بتناقض الذات مع الواقع، الذي قد يفضي إلى الاغتراب الاجتماعي.

ويمكن أن ينشأ الاغتراب الاجتماعي بفقدان الأهل والأصدقاء، وغياب صورة الحياة الاجتماعية المتمثلة بالتفاصيل من لقاء الأحبة وجلسات السمر ونحو ذلك.

وينشأ الاغتراب الاجتماعي من فقدان العدالة الاجتماعية، وانتشار الفساد، وصور القهر والظلم. وفي هذا النوع من الاغتراب لا يجد الإنسان في مجتمعه بدائل بشرية أو بتعبير آخر: إنه يفقد ذاته في النسيج

---

[1] الفلاحي، أحمد علي، **الاغتراب في الشعر العربي**، ص75.

الاجتماعي، ويرتبط الاغتراب الاجتماعي "بجانب حياة الفرد ضمن مجموعته الاجتماعية التي ينضوي تحتها، فإذا لم يجد الفرد توافقاً بينه وبين هذه المجموعة الاجتماعية، فإنه لا شك سيحس بأنه غريب ضمن هذه المجموعة".[1]

وفي الاغتراب الاجتماعي لا يجد المرء لنفسه مُعيناً اجتماعياً، بل تشكل الحالات الاجتماعية ضغطاً عليه، فتسيطر عليه مشاهد البحث عن مجتمع بديل، وهذا ما يجعل المرء يحنّ إلى حياة اجتماعية سابقة، كانت مليئة بالطمأنينة والسكينة والسعادة.

ولعلنا لا نذهب بعيداً إذا قلنا إن الاغتراب الاجتماعي قد ينشأ عن سابقَيه من الاغتراب المكاني والزماني، فتحوّل البيئة لها عظيم الأثر في تحول التفاصيل الداخلية لبنية المجتمع، كأن الفرد يفقد انتماءه وهويته، فلا يفارقه القلق والتوتر والحزن، وهذا ما يجعل الاغتراب الاجتماعي قريباً من الاغتراب النفسي، فينتج الأخير بناء على تداعيات الأول.

1.3.4. الاغتراب السياسي:

شكلت المنظومات السياسية الحاكمة عبر العصور المختلفة، صوراً عديدة لمفهوم الممارسات السياسية تطبيقاً وأداءً، وانعكس ذلك جلياً في المجتمع على صعيد الأفراد والجماعات. وربما لا يطول الاغتراب السياسي الجمع البشري على حدّ سواء، فهو إحساس فرديّ خاص –في الدرجة الأولى– ناجم عن فهم ومتابعة وعمق تفكير. لكنه قد يتفاقم ويشكل ظاهرة جماعية. ويعرّف الباحث محمد خضر المختار الاغترابَ السياسي بأنه الشعور بعدم الارتياح نحو القيادة السياسية ومحاولة الابتعاد عنها وعن التوجهات السياسية الحاكمة.[2]

فقد ينشأ الاغتراب السياسي بسبب فقدان العلاقة الناظمة بين الحاكم والمحكوم، فتغيب فيه صورة المحكوم أمام تسلط الحاكم، أو قد يستغل الحاكم موقعه ليسوس الناس على غير ما يأملون، لتبدأ حركة المجتمع الحية بالتلاشي سياسياً، وتنمو الممارسات السلطوية بالقهر والتهميش والظلم.

وينشأ الاغتراب السياسي بسبب خيبة الأمل التي تنتج عن واقع الحال الذي تعيشه الدولة أو الأمة، وذلك حين يصبح نظام الحكم عالةً على الأفراد والجماعات والقيم، وتصبح الممارسات السياسية منحصرة

---

[1] الحراسيس، آمال عبد المنعم، **ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام**، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2016، ص19.

[2] ينظر: المختار، محمد خضر، **الاغتراب والتطرف نحو العنف**، دار غريب، القاهرة، 1999، ص35.

فقط في طبقة الحاكمين، بينما يغدو الفرد عاجزاً عن فعل شيء إزاء التردي الذي يصيب جميع الأوضاع والتفاصيل.

ويمكن أن نذهب إلى أن الاغتراب السياسي يشكّل عنصراً مهماً للباحثين في دراسة المحددات التاريخية لعصرٍ من العصور، فهو يرسم العلاقة بين أنظمة الحكم والناس من جهة، ويتصل بفروع مجاورة من علوم الاجتماع والاقتصاد والإنسان من جهة أخرى.

رأينا أن نظرية العقد الاجتماعي عند (روسو) لعبت دوراً مهماً في رسم مفهوم الاغتراب لديه؛ إذ يتنازل الفرد بمقتضى ذلك عن فرديته لصالح الجماعة وليس لفرد معين أو مجموعة حاكمة معينة، وإنما للكل الذي هو جزء منه. "وهذا الاتفاق ينشئ شخصاً صناعياً هو الدولة التي هي تعبير عن إرادة الكل".[1] وحينما تخفق الدولة في حفظ كرامة الإنسان وحماية وجوده وحريته، فإنه يصاب بالاغتراب السياسي. ويتوسع هذا المفهوم ليشمل العلاقة بين الإنسان والنظام العالمي الدولي بهيئاته وتمثيلاته السياسية، فنجد اغتراباً سياسياً فريداً ناتجاً من نقمة الفرد على الممارسات الدولية المناقضة للمبادئ الإنسانية المتفق عليها، كما سنرى ذلك لاحقا في الدراسة التطبيقية.

1.3.5. الاغتراب الديني:

لعبت الخلفية العلمية التي ينطلق منها الفيلسوف والمفكر في تحديد مفهوم ظاهرة الاغتراب دوراً رئيساً، ومثلما رأى أصحاب الاقتصاد الاغترابَ في الاقتصاد، وأهلُ الاجتماع رأوه اغتراباً في الاجتماع، فكذلك قيل إن الاغتراب الديني هو أصل كل اغتراب، وهو أساس كل اغتراب نفسي أو اجتماعي، فلسفي أو بدني، وأن الكشف عن ماهية الاغتراب تكون أصلاً من خلال فلسفة الدين.[2] وبعيداً عن مفهوم الاغتراب ومحاولة إرجاعه إلى أصوله، فإن الاغتراب الديني يعدّ ظاهرةً إنسانية تتجلى من خلال انقطاع الإنسان عن عقائده التي يؤمن بها، وتعاليمه الروحية وغير الروحية المنبثقة من دينه وتعاليم عقيدته وشريعته.

"وقد أوضح فتح الله خليف أن الاغتراب في الإسلام جاء في ثلاث درجات هي: اغتراب المسلم بين الناس، واغتراب المؤمن بين المؤمنين، واغتراب العالم بين المؤمنين".[3]

---

[1] الجمل، يحيى، **الحرية في المذاهب السياسية المختلفة**، عالم الفكر، مج 1، ع 4، يناير، 1971، ص146

[2] يُنظر: حنفي، حسن، **الاغتراب الديني عند فيورباخ**، عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول، ص44.

[3] خليفة، عبد اللطيف محمد، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، دار غريب، القاهر، 2003، ص101.

يعد الإيمان من الركائز النفسية عند كثير من الناس؛ لأنه يتصل بجملة من المفهومات والقضايا، كالعبادات والفرائض والأخلاق وعلاقة الإنسان بالله، وعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان وغير ذلك، ولهذا فهو من ضرورات الصحة النفسية والتوازن عند الإنسان، وغياب ما يندرج تحت مظلة الإيمان يولد اغتراباً دينياً.

ولقد جاء في الحديث الشريف أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام قال: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء".[1]

1.3.6. الاغتراب النفسي والعاطفي:

وهو الاغتراب المتداخل مع سواه من أنواع الاغتراب؛ لأن العلاقة بين النفس (الذات) وبين المحيط علاقة حتمية، فلا يقوم الاغتراب عموماً دون الأثر الواضح في نفس المغترب من زاوية ما. والاغتراب النفسي أقرب ما يكون إلى كونه نمطاً من أنماط الاغتراب الذاتية الداخلية، ويعني تخلخل العلاقة الطبيعية بين الإنسان وذاته، تسببه بواعث منبثقة من أعماق النفس الإنسانية، من العزلة والحزن والبؤس والأسى والقلق وغير ذلك، "وقد يتضمن مفهوم الاغتراب النفسي انعدام الصلة بين الفرد وجزء حيوي وعميق من نفسه أو ذاته، وقد يكون اغتراباً عن قيم مجتمعه لانعدام تفاعله عاطفياً وفكرياً مع تلك القيم".[2]

ويشبه عبد اللطيف محمد خليفة الاغتراب النفسي بالنمو المشوّه للشخصية الإنسانية، وهو فقدان مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والحياة، ولذلك فهو انشطار لوحدة الشخصية وانفصالها عن ذاتها الداخلية وضعفها وهشاشتها.[3]

ويمكن القول إن الأسباب الدافعة إلى الاغتراب النفسي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالعالم الداخلي للإنسان، دون العالم الموضوعي الخارجي، وإن كانت العلاقة بين كل ذلك متداخلة بوصف الإنسان وحدة لا تتجزّأ.

وتتداخل كذلك بواعث الاغتراب النفسي بنتائجه، فاليأس وفقدان الأمل قد يكونان باعثاً من بواعثه، أو نتيجة من نتائجه، وكذلك القلق، والحزن والأسى...إلخ.

---

[1] **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، تح: محمد فؤاد زكريا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، باب بيان أن الاسلام بدأ غريبا، رقم الحديث: 145، ص130.

[2] النوري، قيس، **الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً**، ص31.

[3] ينظر: خليفة، عبد اللطيف محمد، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، ص81.

وقد يكون الحب وما يتعرض له الإنسان من عوامل مرافقة كالشوق والحنين وفقد المحبوب والوداع وغير ذلك صورةً من صور الاغتراب النفسي، وواحداً من تجلياته، ولذلك آثر البحث أن يجعل الاغتراب العاطفي منضوياً تحت الاغتراب النفسي في الدراسة التطبيقية.

1.4. بدوي الجبل؛ حياته وشعره:

أولاً: حياته:

هو محمد سليمان الأحمد الملقب بـ "بدوي الجبل"، المتفق على ولادته في قرية (ديفة) وهي قرية ريفيّة على الساحل في محافظة اللاذقية السورية، المختلف في زمن ولادته، فبعض المصادر تعيّن تاريخ ميلاده في عام **1905**م وترى أن هذا التاريخ يؤكده الشاعر نفسه[1]، وبعض المصادر تذكر أنه مولود في عام **1903**م وهو التاريخ الذي يؤكّده شقيقه أحمد سليمان الأحمد، وترى مباحث أخرى أنه ولد عام **1906**م، وقد ذهب بعضهم إلى أنه مولود عام **1899**م.[2]

والدُه الشيخ سليمان الأحمد، كان عضو المجمع العلمي في دمشق، وكان فقيهاً في المذهب العلوي، معروفاً بلغته وأدبه، وهذا ترك أثره في البدوي منذ طفولته، كما ترك أثره في إخوته، أحمد وفاطمة. فقدَ البدوي أمَّه وهو صغير، وغالب الظن أنه كان في الثانية من عمره، فنشأ وليس في ذاكرته عن أمه شيء. تلقّى عن والده علوم العربية وتراثها الأدبي، ودرس في مدرسة الكُتّاب في قرية "عين التينة" ثم في قرية "السلاطة"، حيث تعلّم القراءة والكتابة، وختم القرآن الكريم في سنٍّ مبكّرة، فحملَ قيم الثقافة العربية الإسلاميّة، وشخصية العربي المنتمي إلى ماضٍ عميق، فتعلّقَ بمراجعة كتب الأدب والتاريخ، مما لعب دوره في تعلقه بهموم مرحلته التاريخية لاحقاً.

وحين بلغَ **الحادية عشْرة** من عمره نقلَهُ والدُه إلى مدرسة إعدادية في مدينة اللاذقية، ثم انتقل بعدها إلى مدرسة "مكتب عنبر" في دمشق ليتابع دراسته هناك، حيث بدأ ينظم الشعر، غير أنّ بقاءَه في تلك المدرسة لم يطل، فتقطعت دراسته فيها "لاشتراكه في حركات النضال المضاد للمحتل الفرنسي".[3] إذ دخلَ الفرنسيون دمشق عام **1920** لتبدأ حياة البدوي بالتغيّر منذ ذلك التاريخ، وشارك في النضال الوطني ضد

---

[1] يُنظر: الخيّر، هاني، **بدوي الجبل عملاق الكلاسيكية المعاصرة**، دار رسلان، دمشق، 2010، ص8.

[2] ينظر: جحا، ميشال خليل، **الشعر العربي الحديث**، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ط1، 1999، ص189. وينظر: عثمان، هاشم، **بدوي الجبل تصحيح وتوضيح**، مجلة المجمع العلمي العربي، 1 أكتوبر، 1982، ص734.

[3] الأشتر، عبد الكريم، **الرؤى الفكرية والفنية في شعر بدوي الجبل**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 82، الجزء 3، د.ت، ص449

الفرنسيّين، فاعتقله الفرنسيون، و"تنقّلَ في سجون حمص وبيروت وقلعة أرواد، وحُكمَ عليه بالسجن خمسةَ عشرَ عاماً، قضى منها ثلاث سنوات، ثم أوقفَ التنفيذ لصغرِ سنه، [إذ] كان في نحو الخامسة عشرة".[1] فلم يستطع الشاعر إكمال دراسته.

عام **1921** أطلقَ عليه يوسف العيسى[2]صاحب جريدة (ألف باء)[3] لقب"بدوي الجبل" إثر قصيدته (مايك سويني)[4]، ففي شعره بداوة، وشخصيته تميل إلى ذلك إذ كان يلبس العباءة ويعتمر العقال المقصّب وهو ابن الجبل.[5] ويبدو أن يوسف العيسى أراد أن يلفت النظر إليه على حداثة سنّه، أو أنه أراد أن يخبّئ اسمَ البدوي الحقيقي تشويقاً إليه، أو رغبةً منه أن يُقرَأ شعره بصرف النظر عن عمره وتجربته السابقة.

عام **1925م** أصدر بدوي الجبل ديوانه الأول بعنوان "الشفق"، والذي سمّاه لاحقاً في ديوانه عام 1978 شِعْرَ "البواكير"، وجعل إهداءه إلى يوسف العظمة[6] قائلاً: "إلى مثال البطولة العربية، إلى الشهيد الراقد في ميسلون، إلى تلك الروح الكبيرة التي تمرّدت على العبودية وعلى الحياة".[7]

عام **1930م** انتسب إلى الكتلة الوطنية[8]، وأصبح نائباً في البرلمان عن اللاذقية[9](جبال العلويين) كما كانت تسمّى في ذلك الوقت.

عام **1936**م وقعت المعاهدة بين فرنسا وسوريا، وقد نصت على اعتراف فرنسا باستقلال سوريا الكامل، على أن يكون للسوريين حكم وطني مستقل، فكان المجلس النيابي بزعامة فارس الخوري[10]، وكان

---

[1] الأشتر، عبد الكريم، **الرؤى الفكرية والفنية في شعر بدوي الجبل**، ص449

[2] يوسف العيسى: صحفي فلسطيني ولد عام 1870م في فلسطين، له مساهمات في إصدار عدة جرائد ك(فلسطين) و(ألف باء)، توفي في دمشق عام 1948م.

[3] جريدة دمشقية سياسية ساخرة، صدرت بعد دخول المستعمر الفرنسي إلى سوريا، وكان العدد الأول لها في أيلول 1920م، وتوقفت عام 1921م.

[4] مايك سويني: هو محافظ مدينة كورك الإيرلندية، اعتقله الإنكليز بقضية وطنية، فأضرب عن الطعام احتجاجاً على طغيانهم حتى وافته المنية.

[5] يُنظر: الخيّر، هاني، **بدوي الجبل عملاق الكلاسيكية المعاصرة**، ص12.

[6] قائد عسكري سوري، قضى بمواجهة الجيش الفرنسي، وكان وزيراً للدفاع، ولد في دمشق عام 1884م واستشهد في عام 1920م.

[7] بدوي الجبل، **ديوان الجبل**، دار العودة، بيروت، 1978، ص433.

[8] تجمّع وطني ساهم في النضال ضد المستعمر الفرنسي.

[9] محافظةٌ سوريّة، تقع في شمال غرب سوريا على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، ولها حدود مع تركيا، شكلت مع محافظة طرطوس المجاورة لها دولة جبال العلويين التي أسسها الفرنسيون عام 1920م.

[10] رجل دولة سوري ووزير ورئيس وزراء ورئيس برلمان في مراحل مختلفة، ولد عام 1873م في حاصبيا اللبنانية وكانت جزءاً من سوريا في ذلك الوقت، وتوفي عام 1962م.

بدوي الجبل عضواً فيه كذلك، ورئاسة الجمهورية بزعامة هاشم الأتاسي[1] الذي أسند رئاسة الحكومة إلى جميل مردم بك[2]، ويزعمُ باحثونَ أن تلك المعاهدة حققت الممارسة الوطنية للسوريين في ظل وحدة سوريا، إلى مرحلة جلاء المستعمر الفرنسي.[3]

وجاء في مقدمة ديوان بدوي الجبل أن الفرنسيين سنة **1939**م نكثوا العهد، وتقوّض الحكم الوطني، وراحوا يغرون العلويين والدروز والجزيرة الفراتية بالانفصال، وظلّ البدوي وإخوانه يذودون عن الوحدة، ثم أسقطت الحربُ الحصانة عن النوّاب، وأيقنَ الشاعر أنه ليس بمنجاة من غدر الفرنسيين، فقطع البيداء لائذاً بالعراق[4]. واستقر الشاعر بدوي الجبل في بغداد مدة ثلاث سنين.

عاد الشاعر إلى سوريا عام **1942**م فاعتقله الفرنسيون، وسجنوه في قلعة كسب لثلاثة أشهر، وفي تلك الأثناء مات والدُه. ثم خرج من السجن وأعيد انتخابه نائباً عن اللاذقية. وقد عمل في الحزب الوطني الذي مثّله لاحقاً في الوزارة عدة مرات.

و"بحلول منتصف شهر إبريل **1946م** كانت القوات الأجنبية قد أتمت جلاءها عن سورية، لتصبح دولة ذات سيادة مستقلة، وكانت مظاهر الاحتفال العارمة بالجلاء تشوبها الكثير من العواطف الجياشة ابتهاجاً بانتهاء حقبة الانتداب الفرنسي وبدء مرحلة جديدة...".[5] فتغنّى بدوي الجبل بالاستقلال واحتفى بالبطولة والرموز الوطنيين.

تولت الكتلة الوطنية التي ينتمي إليها الشاعر بدوي الجبل مقاليد الحكم من عام **1946م–1949م**، حتى أطاح بالحكمِ الانقلابُ العسكري لـ(حسني الزعيم)[6] عام**1949**، وسيطرت الوحدات

---

[1] زعيمٌ وطني ورئيس سابق لسوريا لمرحلتين استمرتا نحو عشر سنوات، وهو من عائلة حمصية معروفة، ولد عام 1875م في مدينة حمص، وتوفي فيها عام 1960م.

[2] سياسي سوري، ولد في دمشق عام 1893م، شغل مناصب عديدة، أبرزها رئيس مجلس الحكومة لأربع مرات، وعمل وزيراً وعضواً في المجالس النيابية، ترك العمل السياسي مع إعلان الوحدة بين سوريا ومصر، وتوفي في أوروبا عام 1960م.

[3] يُنظر: لونغريغ، ستيفن هاملي، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، تر: بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت، د.ت، ص280.

[4] يُنظر: بدوي الجبل، **ديوان بدوي الجبل**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2016، ص12.

[5] زين العابدين، بشير، **الجيش والسياسة في سورية**، دار الجابية، 2008، ص107.

[6] ضابط في الجيش السوري برتبة فريق، تسلم رئاسة الجمهورية السورية بانقلاب عسكري دام لأربعة أشهر، أعدم رمياً بالرصاص عام 1949م.

العسكرية على مقاليد الأمور، واعتُقِلَ الرئيس شكري القوتلي[1] ومعه خالد العظم[2] رئيس الوزراء وعدد من الضباط الموالين[3]، فغادر بدوي الجبل هارباً باتجاه لبنان، لكنه ما لبث أن عاد إلى دمشق.

في عام **1954**م، وبعد انقلابات عسكرية عديدة، أعيد هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية بعد استقالة أديب الشيشكلي[4]، وكُلِّف صبري العسلي[5] رئاسةَ الحكومة التي شغل **بدوي الجبل** فيها منصب **وزير الصحة** ممثلاً عن الحزب الوطني، ولكنّ التشكيلة الوزارية لم تبق أكثر من أشهر، على أن بدوي الجبل لم ينقطع عن العمل السياسي قبل ذلك.

وفي الخامس من أيلول عام **1955م**، تسلّم شكري القوتلي رئاسة الجمهورية، وكلّف سعيد الغزّي[6] تشكيلَ الحكومة في الرابع عشر من أيلول من العام نفسه، فكان **بدوي الجبل** في الحكومة الجديدة **وزيراً للدولة**[7]. على أنّ بدوي الجبل بقي في تلك الحكومة حتى الرابع عشر من حزيران عام 1956م. ونجد في مقدمة ديوانه أنَّ "أحداثاً طارئةً على نظام الحكم سنة **1956م** شرّدته وصفوة من إخوانه ست سنوات بين بيروت والآستانة وروما وفيينا وجنيف"[8].

ليبدأ الشاعر بعد ذلك التاريخ مرحلة جديدة من مراحل حياته، وقد أغلق صفحة العمل السياسي، وبدأت رحلة قاسية في المغترب، وحصلت الوحدة بين سوريا ومصر عام **1958**م وكان الشاعر في مغتربه آنذاك، حيث تسلم مقاليدَ الأمور الرئيسُ المصري جمال عبد الناصر[9] بعد أن تنازل له الرئيس السوري شكري

---

[1] زعيم سياسي في الكتلة الوطنية ثم في الحزب الوطني، شغل مناصب نيابية عديدة، وحكمَ سوريا مرتين، تنازل في آخرها لصالح الوحدة مع مصر، توفي عام1967م.

[2] شخصية سياسية سورية، شغل منصب رئاسة الحكومة ستّ مرات، ومناصب وزارية لمرات عديدة، ولد عام 1903م في دمشق، وتوفي في لبنان عام 1965م.

[3] يُنظر: حداد، غسان محمد رشاد، **من تاريخ سورية المعاصر**، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، عمان، ط1، 2001، ص32.

[4] قائد الانقلاب العسكري الثالث عام 1949م، ورئيس الجمهورية السورية بين 1953-1954، ولد في مدينة حماة السورية عام 1909م، واغتيل في البرازيل عام 1960م.

[5] هو سياسي سوري شغل منصب رئيس وزراء سوريا ثلاث مرات، كما شغل منصب نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة عام 1958م، وهو من رجالات الكتلة الوطنية، ولد في دمشق عام 1903م، وتوفي فيها عام 1976م.

[6] سياسي ومحام سوري، شغل منصب رئاسة الحكومة مرتين، ومن رجالات الكتلة الوطنية، ولد في دمشق عام 1893م، وتوفي فيها عام 1967م.

[7] حداد، غسان محمد رشاد، **من تاريخ سورية المعاصر**، ص96.

[8] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص17.

[9] وهو ثاني رؤساء الدولة المصرية، حكم من عام 1956م حتى وفاته عام 1970م.

القوتلي، "وسعى عبد الناصر إلى تحقيق مشروعه، لكن الوسط الثقافي لم يكن مؤيداً لمركزية السلطة التي قدمها عبد الناصر كبديل لتحقيق مشروع الوحدة، ورأى البدوي في هذه المركزية انعدام الحرية في البلاد".[1]

عاد الشاعر من مغتربه إلى سوريا عام **1963م** وبعد عودته صدرَ أمرٌ باعتقاله، فاضطر إلى مغادرة البلاد مجدداً عاماً كاملاً إلى أن أوقف قرار اعتقاله، تنقّل فيه بين النمسا وسويسرا، كتب في ذلك العام أشهر قصائد حنينه، من مثل: حنين الغريب، والبلبل الغريب، كما سنجد ذلك في الدراسة التطبيقية. هزّت حوادث الأمة العربية ونكباتها البدوي، ولا سيما نكسة حزيران عام **1967م**، فكتب ملحمته الشهيرة "من وحي الهزيمة". تعرّض بعدها لمحاولة اغتيال فاشلة، وظلَّ بعيداً عن كل أنماط العمل السياسي، معتزلاً إلى شؤونه الخاصة. وكان قد نشر أعماله الكاملة عام **1978م** تحت اسم "ديوان بدوي الجبل" عن دار العودة في بيروت. وافته المنية عام **1981م**، يوم الثلاثاء في الثامن عشر من آب[2].

من خلال مسيرة حياة بدوي الجبل نرى أنه من السهولة تقسيم حياة بدوي الجبل على وفق الآتي:

المرحلة الأولى:

التنشئة القروية البسيطة في ظل حرصه على تعلم العلوم الأساسية الأولى، وتلقيه علوم العربية والأدب والتاريخ من أبيه. وتقدّر تلك المرحلة حتى سن الخامسة عشرة؛ أي أن الشاعر قضى في تعليمه الأول قرابة عشر سنوات أو دون ذلك، إذا فرضنا أنه بدأ التعلم في السادسة أو في الخامسة على أقل تقدير.

المرحلة الثانية:

انخراطه المبكر في العمل السياسي والنضال الوطني منذ الخامسة عشرة تقريباً حتى خروجه من سوريا عام 1956م. وقد توزع العمل السياسي بين كونه نائباً في البرلمان عن محافظة اللاذقية ووزيراً عن الحزب الوطني. وتُقدّر مرحلة عمله السياسي بنحو أربعين سنةً.

المرحلة الثالثة:

اعتزاله العمل السياسي حتى وفاته، أي من عام 1956م – 1978م، وتقدّر هذه المرحلة بنحو اثنين وعشرين عاماً.

- خرج الشاعر من سوريا ثلاث مرات:

---

[1] حسن، محمد سليمان، **بدوي الجبل: دراسة في حياته وشعره**، مجلة المعرفة، العدد 464، 2002، ص246.

[2] يُنظر: الخيّر، هاني، **بدوي الجبل عملاق الكلاسيكية المعاصرة**، ص7.

أ- إلى العراق مدة ثلاث سنوات، من عام 1939م-1942م.

ب- إلى بلدان عديدة مدة ست سنوات متواصلة بين بيروت وإسطنبول وروما وجنيف وفيينا، من عام 1956م حتى عام 1963م.

ج- إلى النمسا وسويسرا مدة عام واحد من 1963م-1964م.

وعلى هذا يكون عدد السنوات التي قضاها الشاعر خارج بلده عشرَ سنوات.

- سُجنَ داخل سوريا مرات عديدة منذ صغره، فسُجن مدة ثلاث سنوات، ثم ثلاثة أشهر.
- لم يستطع الشاعر إكمال دراسته بسبب ممارسته المبكرة للعمل السياسي والعمل الوطني.

ثانياً: مكانته الشعرية:

يتفق النقّاد أن بدوي الجبل ينتمي إلى التيار الكلاسيكي المحافظ، ولكنه لا يكتفي بمحاكاة النمط القديم من الشعر، بل له ديباجة مليئة بالحياة، وهو قريب الأسلوب من البحتري، وهو في تياره حُجة، يأخذ قالب القديم ويبث الحياة الجديدة فيه، "عن طريق استعمال لغة شعرية جديدة وقديمة في آن معاً، والصورة الشعرية عنده طازجة وغير مستهلكة بالاستعمال المستمر... واللغة والصورة كلتاهما تتصف بالحيوية والطلاوة والقدرة على التأثير"[1].

ونظم البدوي الشعرَ صغيراً، وكان شغوفاً بالتراث العربي والإسلامي، والبيئة التي نشأ فيها، مما جعل شعرَه ينتسب إلى القديم الأصيل ويحافظ على صبغة الموروث الشعري الذي وجدَ فيه الشاعر ذاته الشعرية. وقد تنبه النقاد إلى موضوع تعلق البدوي بالتراث العربي واستلهامه التاريخي منه، وإسقاطه على الواقع الذي يعيش ومجريات الأحداث والتفاصيل، وحسن توظيفه للشخصيات التاريخية في شعره. فامتدح شعرَ البدوي عديد من النقاد وكثير من الشعراء الذين وجدوا في شعره واحدةً من التجارب الشعرية الخلابة كنزار قباني وعبد الوهاب البياتي وبشارة الخوري وغيرهم[2]، حيث تضج قصائده بالحياة والموسيقا والتعبير والتصوير، محافظاً على غنى شعريته، وشباب قصيدته. وهو يرى "أن الشعر يرتكز على العاطفة والخيال وترف الروح".[3]

---

[1] الجيوسي، سلمى الخضراء، **الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث**، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2019، ص280.

[2] ينظر: فروجي، رابح، **التجربة الشعرية في شعر بدوي الجبل**، أطروحة دكتوراه، جامعة فرحات عباس، الجزائر، 2011، ص9.

- جمع أكرم زعيتر ما قيل في بدوي الجبل في مقالة في مجلة (الدوحة)، العدد رقم 4، 1 إبريل، 1986، ص39 وبعد.

[3] الخيّر، هاني، **بدوي الجبل عملاق الكلاسيكية المعاصرة**، ص21.

واكب البدوي أحداث أمته التي عاشها انطلاقاً من شعوره بالمسؤولية، ومن شعريته وانتمائه، ولهذا فإن قصائد البدوي تضج بالأحداث والتفاصيل التاريخية المعاصرة، وتشكل رؤيةً وبوابة للعلاقة الوثقى بين الأدب والواقع.

ترك البدوي ديوانَ شعرٍ بأكثر من تسعين قصيدة، تميل معظمها إلى الطول، وبعضها من المناسبات التي عاشها، وأخرى من العاطفة والخيال والوجد.

تتجلى في أبياته لمسات الحزن الجميل الذي يسميه "حزناً جميلاً"، والذي يبحث عنه، "فقد أبقت فيه حياته ومعاناته دفقة غزيرة من الحزن، تظلّ تلمع دموعاً في طيّات الأبيات، فمن هنا يكون العنصر الوجداني هو أقوى عناصر صنعته الشعرية: تقريراً وتصويراً، وتظل جملته الشعرية المرهفة القوية، ورموزه القريبة وصوره الحسية، وإيقاعاته الساطعة، قادرة على نقل رؤاه الفكرية والشعورية".[1]

1.5. عمر أبو ريشة؛ حياته وشعره:

أولاً: حياته:

ولد الشاعر عمر أبو ريشة في عكا في فلسطين عام **1908**م، وهو التاريخ الذي رجّحه الدكتور فايز الداية بناء على تسلسل التعليم الذي قطعه عمر.[2]

يعود نسب الشاعر إلى عشيرة الموالي من قبيلة طيّئ، وكان والده ذا مكانة علمية وسياسية واجتماعية، إضافة إلى أن والده كان "يمثّل نموذجاً لمثقف يحيط نفسه بمعرفة متدفقة زيادة على ما حصّله أيام الدراسة، ويحافظ على طاقة تعبيرية شعرية تجلّت في قصائد ومقطوعات"[3]، وشغل والده منصب قائم مقام في مدينة الخليل في فلسطين والسويداء وحوران وجرابلس ومعرة النعمان ومنبج وهي مدنٌ سوريّة. وكانت أمه –واسمها خيرة الله– من عكا، وهي بنت الشيخ إبراهيم اليشرطي[4] شيخ الطريقة الشاذلية في فلسطين، وكانت في زيارة لأهلها حين ولدت عمر. وكانت أسرة عمر مثقفة ذات نزعة صوفية، مما ترك أثراً في شخصية عمر، وله أخت –واسمها زينب– تقول الشعر، وشقيقه الأصغر ظافر نشر ديوانين، وله أخت كبرى اسمها سارة.

---

[1] الأشتر، عبد الكريم، **الرؤى الفكرية والفنية في شعر بدوي الجبل**، ص464.

[2] ينظر: الداية، فايز، **دلالات السيرة والأسلوب عند عمر أبو ريشة**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2018، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص18.

[4] ورث الشيخ إبراهيم زعامة الطريقة الشاذلية اليشرطية عن أبيه علي نور الدين الذي يُعرف بالمغربي؛ لأنه جاء من تونس إلى عكا في فلسطين واستقر فيها.

نشأ عمر في بلدة منبج، شرق مدينة حلب، وانتقل وأسرته إلى حلب القديمة وهو ابن العاشرة، عام **1918**م. فأتم دراسته الابتدائية فيها، في حي "الفرافرة".

وفي عام **1924**م، انتقل عمر أبو ريشة إلى بيروت لمتابعة دراسته الثانوية في الجامعة الأمريكية. حيث تعلم الفرنسية والإنكليزية إلى جانب العربية، وبقي الشاعر في بيروت خمس سنوات. وفي عام **1929**م سافر عمر أبو ريشة إلى مانشستر الإنكليزية لمتابعة دراسته في قسم الكيمياء والأصبغة، وبقي هناك حتى عام **1932**م، اكتسب فيها ثقافة واسعة وتعرّف إلى أدب شكسبير وبودلير وغيرهما، ثم عاد إلى حلب، ولم ينهِ دراسته الجامعية.[1]

إلى ذلك التوقيت يمكن القول: إن عمر أبو ريشة قدّمَ نصوصاً شعرية تعد من بداياته التي نشرها فكانت مسرحية "ذي قار" وقد نشرها عام 1931م وصدّر المسرحية بإهداء إلى الأستاذ حبيب العبيدي مفتي الموصل آنذاك[2]، وكان قد كتبها في بيروت 1929م، "ونشر قصيدة (خاتمة الحب) التي كتبها في إنكلترا 1930م، وثمة قصيدتان (رثاء مصطفى نجا) و(رثاء حافظ إبراهيم)، وظهرت مجموعة من القصائد والمقطوعات ملحقة بالنص المسرحي".[3]

استقر عمر أبو ريشة في حلب عام **1932م**، وبدأ بالتواصل مع رجالات العمل الوطني والنضالي ضد الفرنسيين، مثل إبراهيم هنانو[4] وسعد الله الجابري[5] وفارس الخوري[6] وغيرهم ممن أحبوه واحترموه، علماً أنه لم ينتسب إلى أية جماعة سياسية أو حزب، "بل كان يخوض النضال مع كل الوطنيين وهذا ما أتاح له التعبير عن آرائه في الأحداث والمواقف بلا قيود".[7]

---

[1] يُنظر: أبو ريشة، عمر، **الأعمال الكاملة**، تح: فايز الداية وسعد الدين كليب ومحمد قجة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2017، ص18.

[2] حبيب العبيدي: وقد سمّاه الشاعر أبو ريشة "رجل العراق"، وهو من الشخصيات العراقية المعروفة بموقعها الوطني ومقاومتها للاستعمار الإنكليزي، وصاحب كتاب: "جنايات الإنكليز على البشر عامة وعلى المسلمين خاصة".

[3] أبو ريشة، **ديوانه**، ص18.

[4] من زعماء النضال الوطني ضد المستعمر الفرنسي في سوريا، ومن رجالات الكتلة الوطنية، ولد في ريف حلب 1869م، ودرس في إسطنبول، وتوفي عام 1935م في حلب.

[5] من الشخصيات المشهورة في النضال الوطني ضد الفرنسيين، وقد شغل مناصب وزارية ورئاسة الحكومة والبرلمان، ولد في حلب عام 1892م، ودرس في إسطنبول، وتوفي عام 1947م في حلب.

[6] سبقت ترجمته، ص18

[7] الداية، فايز، **دلالات السيرة والأسلوب عند عمر أبو ريشة**، ص40.

كان أبو ريشة كثير التنقل والسفر بين حلب ودمشق وبيروت وبغداد، حريصاً على مجالس العلم والأدب، مساهماً في المجلات الأدبية التي بدأ ينشر فيها كثيراً من أعماله، وخاصة مجلة "الحديث" لصاحبها سامي الكيالي[1]، ومجلة "الضاد" للشاعر عبد الله يوركي حلاق[2]، ومجلة "الرسالة" لأحمد حسن الزيات[3]، وعدد كبير من المجلات، تربطه علاقات واسعة مع أدباء عصره كما يروي الدكتور الروائي عبد السلام العجيلي[4] الذي كان صديقه.

عام **1936**م وقعت المعاهدة بين فرنسا وسوريا، وقد رحبت الحكومة السورية آنذاك بالمعاهدة التي ثار عليها عمر أبو ريشة، ورأى فيها تنازلات وطنية، وقد أطلق قصيدة شعرية في ذلك.[5]

وأصدر عام **1936**م ديوانه الأول في حلب، بعنوان (شعر)، والذي يقع في مئتين وعشرين صفحة، وقد جمع فيه كثيراً من قصائده التي كان ينشرها في الصحف والمجلات العربية.

وفي عام **1939**م تزوّجَ عمر أبو ريشة من منيرة مراد وهي لبنانية من البقاع. وفي عام **1940**م عُيّنَ عمر أبو ريشة مديراً لدار الكتب الوطنية، وبقي مديراً لها حتى عام 1949م.

وعام **1945** انتُخب عضواً مراسلاً في المجمع العلمي بدمشق، وكان ذا نشاط سياسي وثقافي بصحبة رجالات الدولة آنذاك، فكان مع فارس الخوري رئيس مجلس النواب في لقائه ملك الأردن بعمّان.[6] وكان –على الرغم من علاقته الطيبة مع رجالات الحكم الوطني– شديد الانتقاد لأداء الحكومة، مستشمراً أية مناسبة لذلك. وكان على حدّ وصفه "العدوَّ اللدود لجميع الأحزاب"[7]، غير أنّه كان يهاجمهم في وجوههم وليس في غيابهم.

---

[1] باحث وأديب سوري، له عشرات من المؤلفات والمقالات الأدبية والاجتماعية، وله قصص ترجمها عن التركية بعنوان (أنواء وأضواء) وقصة (بنت يزيد)، ولد في حلب عام 1898م وتوفي فيها عام 1972م.

[2] أديب سوري، وصحفي، له كثير من المطبوعات القصصية والشعرية والروائية، ولد في مدينة حلب عام 1911م، وتوفي فيها عام 1996م.

[3] أديب ومفكر مصري، له العديد من المؤلفات مثل (تاريخ الأدب العربي)، ولد في مصر عام 1885م وتوفي فيها عام 1968م.

[4] أديب سوري معروف، وطبيب ورجل سياسة، له عشرات المطبوعات القصصية والروائية، ولد في مدينة الرقة عام 1918م، وتوفي عام 2005م.

[5] تتحدث بعض المصادر ومنها ما كتبه عبد الله يوركي حلاق في (أعلام العرب) أن عمر أطلق وقتها قصيدته:

صريعَ الهوى إنّ خلف البرا قع تلك المطلّقةَ الفاجره.

[6] الداية، فايز، **دلالات السيرة والأسلوب عند عمر أبو ريشة**، ص44

[7] المرجع نفسه، ص59

شكّل استقلال سوريا عام **1946**م نقلة نوعية على الأصعدة كلها وفي التفاصيل السياسية والثقافية والاجتماعية كلها في عموم البلاد. وكان لذلك أثر واضح في شخصية عمر أبو ريشة وشعره كما سنلحظ في الدراسة التطبيقية.

أصدر عمر أبو ريشة ديوانه الثاني عام **1947**م بعنوان (من عمر أبو ريشة)، عن دار الأديب في بيروت. وقد شكلت قصيدته "عروس المجد" ملحمة شعرية في ذلك العام.

تركت نكبة فلسطين عام **1948**م وهزيمة الجيوش العربية أمام الصهاينة، أثراً عظيماً في شعره، فبكى مجد أمته، وتطلع إلى مستقبلٍ حر.

في عام **1949**م حدث الانقلاب العسكري في سوريا بقيادة حسني الزعيم[1] وعلى إثر ذلك صدرَ قرارٌ بتعيين عمر أبو ريشة سفيراً لسوريا في البرازيل، في (ريو دي جانيرو). ثم انتقلَ إلى الأرجنتين، وتشيلي.

في عام **1957**م عُيّن سفيراً في الهند، وبقي فيها في زمن الوحدة بين سوريا ومصر عام **1958**م. ثم انتقل إلى فيينا في النمسا.

وفي عام **1958**م، أصدر عمر أبو ريشة ديوانه الثالث تحت عنوان "مختارات" في بيروت.

وفي عام **1959**م ترجم بعض قصائده بنفسه إلى الإنكليزية، ونشرها في نيودلهي وبيروت.

وفي عام **1961**م انتقل عمر أبو ريشة إلى واشنطن سفيراً فوق العادة ومندوباً مفوّضاً في الولايات المتحدة الأمريكية، "وعاد ثانية إلى الهند عام **1964** وفيها اختتم عمله الدبلوماسي وبقي فيها حتى عام **1970**".[2]

أصدر عمر أبو ريشة عام **1969**م ديوانه (غنيت مأتمي)، ثم عام **1971**م (ديوان عمر أبو ريشة)، المجلد الأول.

استقرّ عمر أبو ريشة بعد أن ترك العمل الدبلوماسي في بيروت عام **1970**م، ويرى بعض الباحثين أن سبب تركه العمل الدبلوماسي هو بلوغه سن التقاعد القانونية، وهي الستين.

وجد الشاعر نفسه في تلك الأثناء قادراً على النشر وممارسة طقوسه الثقافية، فعاد يتجول في بعض العواصم محاضراً وشاعراً. ولا سيما أن بيروت بدأت معاناتها بالحرب التي بدأت عام **1973**م.

---

[1] سبقت ترجمته، ص19

[2] الداية، فايز، **دلالات السيرة والأسلوب عند عمر أبو ريشة**، ص72

وفي عام **1974**م لبّى دعوة الملك فيصل بن عبد العزيز[1]، فسافرَ إلى السعودية، واستقر فيها، وكان ينطلق منها في رحلاته بين بيروت وحلب ودمشق والكويت والقاهرة.

أصدر عام **1979**م ديوانه (أمرك يا رب) في جدة، وطُبع ديوان (من وحي المرأة) في دمشق عام **1984**م.

ثم تعرّض لحادث سير عام **1987**م، أضرّ بصحته، وبقي في الرياض حتى وافته المنية في الرابع عشر من تموز عام **1990**م ونُقل جثمانه إلى حلب حيث دُفِنَ فيها.

طُبعَت أعماله الكاملة في جزأين، بتحقيق نخبة من أكاديميّين سوريين، وهم الدكتور فايز الداية[2]والدكتور سعد الدين كليب[3]والباحث محمد قجة[4]، وصدر عام 2017م، عن الهيئة العامة السورية للكتاب.

ويلحظ الباحث من خلال مسيرة حياة عمر أبو ريشة أنه من السهولة تقسيم مراحل حياته وفق الآتي:

المرحلة الأولى:

التنشئة القروية بدايةً، ثم انتقاله إلى عالم المدينة، في حلب، ليتم دراسته الابتدائية فيها، وليتابع في بيروت دراسته الثانوية، فالجامعية في إنكلترا حتى عام 1932م. أي أنّ مدة المرحلة الدراسية لعمر أبو ريشة كانت عشرين عاماً تقريباً، إذا افترضنا أنه بدأ التعليم في السادسة من عمره.

المرحلة الثانية:

كانت من عام 1932م حتى عام 1949م، وكانت تمثلُ بناءَ الوعي لدى الشاعر، عكف فيها على الكتابة والنشر في المجلات، وبناء العلاقات مع رجال الفكر والأدب والسياسة والنضال الوطني دون

---

[1] فيصل بن عبد العزيز آل سعود، الملك الثالث للمملكة العربية السعودية، حكم من عام 1964م إلى عام 1975م، ولد في الرياض عام 1906م واغتيل فيها عام 1975م.

[2] أكاديمي سوري، وأستاذ البلاغة والنقد، له العديد من الأبحاث والمؤلفات العلمية، ولد في دمشق عام 1947م، وما يزال أستاذاً في كلية الآداب بجامعة حلب.

[3] أكاديمي سوري، وأستاذ علم الجمال والأدب العربي الحديث، له العديد من الكتب النقدية والإبداعية، ولد في مدينة حماة 1957م، وما يزال أستاذاً في كلية الآداب بجامعة حلب.

[4] باحث سوري في التاريخ والتراث والأدب، له العديد من الكتب والأبحاث العلمية، ولد في مدينة حلب عام 1939م، وما يزال رئيساً لجمعية العاديات منذ 1994م.

الانخـراط في أي تيـار حـزبي. نشـر الشـاعر في هـذه المرحلـة مسـرحية شـعرية وديـوانَ شـعر.

المرحلة الثالثة:

كانت من عام 1949م حتى عام 1970م، عمل فيها الشاعر سفيراً لبلاده في عدة بلدان، مارس فيهـا العمـل الدبلوماسـي، وتعـرّف إلى عـالم الغـرب، وأتقـن لغـات أجنبيـة عديـدة كالإنكليزيـة والفرنسـية والإسـبانية، أنـتج في هـذه المرحلـة ديـوانيَ شـعر، وعمـلاً آخـر بالإنكليزيـة ترجمـةً عـن مقـاطع لـه.

المرحلة الرابعة:

كانت من عام 1970م حتى عام 1990م وفيها قدّم خلاصة تجربته الشعرية والدبلوماسية شعراً ومحاضرات وندوات، أنتج فيها ثلاثة دواوين شعرية.

- خرج الشاعر من سوريا عدة مرات:

أ- إلى بيروت مدة خمس سنوات للدراسة الثانوية.

ب- إلى بلدان عديدة سفيراً لبلاده مدة إحدى وعشرين سنة متواصلة بين البرازيل والأرجنتين والهند وواشنطن...إلخ.

ج- إلى بلـدان العـالم العـربي مـدة عشـرين سـنة، وتنقـل فيهـا بـين لبنـان والسـعودية مـن حيـث الإقامة، وكان يتردد فيها إلى سوريا ويزور عواصم عربية وعالمية.

وعلى هذا تكون عدد السنوات التي قضاها الشاعر خارج سوريا ستاً وأربعينَ سنة.

ثانياً: مكانته الشعرية:

جمـع عمـر أبـو ريشـة في شـعره روافـد عديـدة أمـدت نصوصـه بالحيـاة والجمـال، واسـتقطبت المعنيّـين والنقاد، وكُتبت عن شعره دراسات كثيرة، وأبحاث عديدة.

وقد عالج أبو ريشة موضوعاته بتفرّد، متميّزاً بمقدرة عالية على التصوير، لفتت انتباه النقّاد والباحثين، و"كـأنّ روح أبي تمـام القديمـة بُعثـت ثانيـةً فيـه، وهـي لم تبعَـث وحـدَها، بـل بُعِثـت أيضـاً روح ابـن الرومـي، وأضاءت على الروحين أقباس غربيّة، ومن شعر المهاجر الأمريكي"[1]. ويبدو أن النقاد تنبهوا إلى البيئة الثقافية التي أمدّت عمر بشتى الروافد وما تعلمه في رحلاته في الغرب، وما عرفه من أدب غربيّ متنوع، مستنداً إلى تراث عربي كبير.

[1] ضيف، شوقي، **دراسات في الشعر العربي المعاصر**، دار المعارف، مصر، 1959، ط2، ص235.

وكان عمر أبو ريشة سبّاقاً بين أبناء جيله من الشعراء إلى سعة الاطلاع والتثقيف، إضافة إلى تمكنه من اللغات الأجنبية، لذلك أخذت القصيدة الشعرية لديه شكلاً متفرّداً متميّزاً، ومضموناً خاصّاً مختلفاً عما جاوره من مضامين أدبية في عصره، فقد "كان أبو ريشة هو الذي منح الشعر السوري في حقبة الثلاثينيات والأربعينيات حيوية جديدة، وسار به نحو حساسية أكثر حداثة".[1]

ويرى بعض الدارسين ومنهم الدكتور محمود سالم في بحث له عن شعر عمر أبو ريشة أنه برع في الموضوعات الشعرية، فأحسن الاختيار وأتقن الوصف، جامعاً بين المجسّد والمجرّد، والحقيقة والمجاز، ويبث الحركة في المشاهد التي يصفها، كأنه من شعراء العصر العباسي.[2]

وحين أصدر عمر مجموعته (من عمر أبو ريشة)، رأى بعض النقاد أنه ممن يعرفون كيف يأخذون من القديم، وكيف يلبسون الجديد في آنٍ معاً، "فهو لا يسير وراءه كما تسير جياد العربات على الطريق المعبدة... ولا يكثر من الصور المائعة المبنية على المجاز العقلي...".[3]

ترك أبو ريشة أثراً عميقاً في حركة الشعر العربي المعاصر، واستقطب كثيراً من الدراسين والباحثين، حتى عدّه بعضهم أشعر شعراء جيله، إذ جمع بين طريف الأدب وتليده.[4]

نتائج سيرة الشاعرين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة:

أولاً: ولدَ بدوي الجبل عام 1905م وولد عمر أبو ريشة عام 1908م، وهذا يعني أن الشاعرين وُلدا في المرحلة الزمنية نفسها تقريباً، فعاشا الظروف التاريخية ذاتها، وجاء ميلادهما في بداية القرن العشرين، فهما نموذجان مهمان لحركة الأدب في القرن العشرين.

ومات بدوي الجبل في عام 1981م وعمر أبو ريشة عام 1990م، وهذا يعني أن بدوي الجبل مات وعمره ستةٌ وسبعون عاماً تقريباً، ومات أبو ريشة وعمره اثنان وثمانون عاماً، وهو عُمْر متقارب، فالفارق بينهما ستُّ سنوات، أي أنهما عاشا المدة الزمنية نفسها تقريباً.

ثانياً: انطلق بدوي الجبل من البيئة الريفية، ومن بيت علم وأدب وتصوّف، عن أبٍ عالمٍ من أصحاب الشأن الاجتماعي في بيئته، وانطلق عمر أبو ريشة من البيئة الريفية كذلك، ومن بيت علمٍ وشعرٍ وتصوّف، وعن أبٍ مثقف ذي مكانة اجتماعية في بيئته.

---

[1] الجيوسي، سلمى الخضراء، **الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث**، ص295.

[2] مروة، إسماعيل، والخوري، نزيه، **عمر أبو ريشة شاعر الكبرياء والصورة**، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2017، ص34.

[3] عبود، مارون، **مجددون ومجترون**، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ت، ص136.

[4] يُنظر: عبود، مارون، **مجددون ومجترون**، ص141.

ثالثاً: لم يكمل بدوي الجبل تعليمه الأساسي للمرحلة الإعدادية المتوسطة، وانقطع عن المدرسة وهو ابن الخامسة عشرة. وكانت دراسته داخلية فقط محصورة بعشر سنوات تقريباً بين اللاذقية ودمشق.

بينما تابع عمر أبو ريشة دراسته الأولى بين حلب وبيروت، ثم دخل الجامعة في إنكلترا حتى السنة الثالثة ولكنه لم يتابع، وهذا يعني أنه أمضى في دراسته الداخلية والخارجية نحو عشرين سنة، وهي ضعف المدة التي درسها بدوي الجبل.

رابعاً: تُقدّر مدة العمل السياسي لبدوي الجبل بنحو أربعين سنةً، انخرط فيها في النضال الوطني والعمل الحزبي والوزاري داخل سوريا، في حين لم ينتمِ أبو ريشة إلى أي تيار سياسي رغم عنايته بذلك وممارسته العمل الدبلوماسي لنحو إحدى وعشرين سنةً خارج سوريا، أي نصف المدة التي قضاها بدوي الجبل في العمل السياسي.

خامساً: عاش بدوي الجبل خارج سوريا عشرَ سنواتٍ باحثاً فيها عن أمانٍ منشودٍ بعيداً عن الملاحقات والمطاردات، بينما عاش أبو ريشة خارج سوريا ستّاً وأربعين سنةً، كان في نصفها سفيراً لبلاده الرسمي، وفي نصفها الآخر متنقلاً في محاضراته ومنابره، وهي آخر عشرين سنة عاشها.

سادساً: سُجِنَ بدوي الجبل من قبل الفرنسيين أكثر من ثلاث سنوات، بينما لم نعثر على مصدر يقول بسجن عمر أبو ريشة، إضافة إلى أن بدوي الجبل لوحق من بعض الحكومات المتعاقبة السورية في منتصف القرن العشرين، على حين أن عمر أبو ريشة لم يتعرّض لذلك.

سابعاً: نشر بدوي الجبل مجموعته الأولى وهو ابن العشرين، وكتب أبو ريشة عمله الأدبي الأول وهو ابن العشرين كذلك. وهذا يعني تقارب نمط الشخصية الأدبية وعُمر الموهبة بينهما.

ثامناً: نشر البدوي أعماله على مرحلتين، الأولى كانت في مجموعة "الشفق" ثم أعماله الكاملة، بينما نشر عمر أبو ريشة أعماله على عدة مراحل.

تاسعاً: حاز بدوي الجبل مكانةً كبيرة في النقد الأدبي، وشُبّه بالبحتري، وحاز أبو ريشة مكانة كبيرة في النقد الأدبي وشُبّه بأبي تمّام.

المراحل الزمنية	بدوي الجبل	عمر أبو ريشة
تاريخ الولادة	1905م	1908م
مدة الدراسة	10 سنوات	20 سنة
التحصيل العلمي	أساسي لم يُكمل	جامعي لم يُكمل
البيئة	في الريف ثم المدينة	في الريف ثم المدينة
مدة السفر خارج الوطن	10 سنوات	40 سنة
العمل السياسي	نائب برلمان ووزير داخلي40 سنة	سفير دبلوماسي خارجي 21 سنة
نشر الأعمال الشعرية	1978–1925	1931–1936–1947–1958– 1969–1971–1979–1984
السجن	ثلاث سنوات وأشهر	لا يوجد
تاريخ الوفاة	1981	1990

جدول توضيحي لمراحل زمنية مرّ بها الشاعران

2. الفصل الثاني التطبيقي:

2.1. الاغتراب المكاني بين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة:

شكّلَ الاغترابُ المكانيّ الظاهرةَ الأشمل والأكبر في مظاهر الاغتراب الإنساني، ولقد عانى الإنسان العربيّ الاغترابَ المكاني في حياته بدءاً من رحلة الظعائنِ والوقوف على الأطلال مروراً بعهود الهجرة وتقلبات الحروب والرحيل، وصولاً إلى عهود النفي السياسي والابتعاد عن الوطن بدوافع العمل والعلم في إطار محاولات الإنسان الحفاظ على الذات، لكنّ هذه الذات ما لبثت تصطدمُ بغربة المكان واغتراب الذاتِ فيه، فالحنينُ الملازم للمنزل الأول والمسكن الأول وملاعب الصبا لا ينفك يطرق أبواب العاطفة الإنسانية وينقر على نوافذ الشوق والحنين، فلا يغدو الشاعر قادراً على التآلف مع المحيط بسبب الصورة الخارجية غير المتآلفة مع الصورة الداخلية للمكان في نفسه، تلك الصورة التي أرادها قلبه وألفتها نفسه، ولقد تعددت صور الاغتراب المكاني في العصر الحديث، نظراً لكثرة الأسباب الدافعة إلى ذلك الاغتراب. غيرَ أننا نستطيع أن نتلمّس الاغتراب المكاني في صورة الاغتراب عن الوطن بالدرجة الأولى، وهي من أقسى صور الاغتراب المكاني الذي يعانيه الإنسان.

2.1.1. الاغتراب المكاني في شعر بدوي الجبل:

مرّ الاغتراب المكاني عند بدوي الجبل بأنماط وأشكال متعددة، اختلفت من مكان إلى آخر ومن زمن إلى آخر، وهو على قسمين: ذاتي وموضوعي.

2.1.1.1. الاغتراب المكاني الذاتي: وكان مما أصاب الشاعرَ خارج وطنه وداخله. ولذلك جاء على حالتين:

الحالة الأولى: اغتراب الشاعر خارج وطنه:

ثمة ارتباط وثيق بين الإنسان ووطنه ومسكنه أو إقليمه الذي ينشأ فيه، حتى يغدو الوطن جزءاً من الذات، يثقل على النفس البعد عنه، وفي المفهوم الإنساني "أصبح التعلّق بالمكان دفاعاً عن الوجود الطبيعي للإنسان، وحين يرتبط المكان بالقيم والعادات والتقاليد فإنه يتحوّل إلى جملة من المعاني"[1].

[1] العنزي، صغير عبد الله، **الاغتراب في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث**، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1423هـ، ص171.

اضطر بدوي الجبل إلى مغادرة بلاده منفيّاً في مفاصل زمنية مختلفة، فذهب إلى العراق وعاش في أستانا وفيينا وجنيف، ونظمَ في مغترباته تلك مجموعة من القصائد التي تحكي اغترابه المكاني وحنينه إلى الديار وأهلها، وقد وجدنا أنه عاش مضطراً خارج بلده عشرَ سنوات.

ولعل هذه الصورة من الاغتراب المكاني من أشد الصور على نفس الشاعر الذي هجرَ دياره مكرَهاً وبات بعيداً عنها.

لجأ الشاعر إلى بغداد عام 1939م يوم صارت الحركات الوطنية عُرضةً للخطر من الفرنسيين، ويوم نكث الفرنسيون عهودهم بمعاهدة 1936م التي قضت بحكم وطني مستقل في سوريا يديره السوريون. فكانت بغداد ملاذ الشاعر ومنها أرسلَ الشاعر عام 1941م أشواقه إلى أصحابه في النضال السياسي، ومنهم نجيب الريّس مَن يُكنّى بأبي رياض[1]، هامساً بلواعجِ اغترابه وقد سمّى نفسَه "الغريب"، يقول:[2]

وإذا ذكرتُ أبا رياضٍ عادَني شجنُ الغريبِ طغى هَواهُ فناحَا

ففي أبيات الشاعر معالم الحنين إلى موطنه وأصحابه، وقد "طغى هواه" فلم يحتمل لواعجه التي دفعته إلى النوح.

ما يفتأ الشاعر يصرّح بغربته واغترابه، ويشكو ما يعانيه، من بُعدٍ عن الديار والوطن، وتفاصيل الأمكنة، فمن جنيف عام 1964م يرسل "ابتهالات" تحكي اغترابه وألمه وحنينه، يقول:[3]

لا الغوطتانِ ولا الشّبابُ أدعو هَوايَ فلا أُجَابُ[4]

أينَ الشآمُ من البحيرةِ والمآذنُ والقبابُ؟[5]

من لي بنَزْرٍ من ثراكِ وقد ألحَّ بيَ اغترابُ؟[6]!

---

[1] سياسي سوري آنذاك، وصاحب جريدة "القبس"، وكان معتقلاً؛ إذ سجنه الفرنسيون في جزيرة أرواد.

[2] بدوي الجبل، **ديوان بدوي الجبل**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2016، ص99

[3] المرجع نفسه، ص75

[4] **الغوطتان**: غوطتا دمشق، الغوطة الشرقية والغوطة الغربية.

[5] لعل الشاعر يقصد بـ(**البحيرة**): بحيرة زرزر، وتقع في منطقة الروضة في الزبداني، وهي من أهم المواقع السياحية، وتبعد عن دمشق مسافة (50) كم من الجهة الغربية، وحولها هضاب وأشجار كثيرة.

[6] **النّزْرُ**: هو الشيء القليل. ابن منظور، اللسان: (نزر).

يُصرّح البدوي باغترابه دون التفاف، ويجهر به دون مواربة، وباتَ يحلم لو يحظى بقليل من تراب الشام التي يحب، فلم يعد الشوق وحده يكفي، وبات أسير الغربة وهو يحن إلى تفاصيل بلاده من المآذن والقباب، ولا جواب لنداءات شوقه.

وجدَ الشاعرُ في ذاته من الحنين إلى موطنِه وأهله ما جعلَه يرى تلفَ نفسِه بعدَ نزوحِه ورحيلِه عن دياره، فقد تكون كثرة الحنين سبباً في ذلك على حدّ وصفِه، هو ذا يستعيد ذكرياتِه مع صديقٍ[1] له قد مات، فيقول:[2]

واسْكُبْ على قبرٍ هناك مُعَطّرٍ بالذكرياتِ فُؤادَك المُلتَاحا [3]

وأنا الوفيُّ وإن نَزَحْتُ وربّما لجَّ الحنينُ فأَتْلفَ النُّزّاحا[4]

يستسلمُ الشاعر في البيت الأخير لآلام اغترابِه ونزوحِه وابتعاده عن دياره وأهله، ويرى أن الشوق والحنين من الأسباب التي قد تؤدي إلى هلاك النازح عن موطن ذكرياته.

يبيّنُ الشاعر في هذا البيت أن مشاعر الشوق والحنين هي من مؤرقات الغريب البعيد، وهي من هواجس الشاعر الذي غدا الوطن عنده صورة الذكريات بتفاصيل المكان.

إن استسلامه ذاك يدفعه إلى البكاء والهم، ويجد في دموعه متنفساً أمام الليل الموحش، وحرمان القلب مما يريد ويصبو، فتتحول العلاقة بين المكان والغريب إلى شكلٍ قاسٍ، يمارس فيها المكان سطوته على الغريب، يقول:[5]

أنا أبكي لليلِ أوحشَهُ البدرُ وللقلبِ هدّهُ الحرمانُ

أنا أبكي للهمِّ يأوي إلى القلبِ فيقسو على الغريبِ المكانُ

وقفَ الشاعر على محطاتٍ عديدة من الاغتراب المكاني، لا سيما في أوروبا، فاشتُهرت له قصائد تحكي غربته، ومنها قصيدته التي حملت عنوان "البلبل الغريب" وقد نظمها في فيينا سنة 1963م، وفيها

---

[1] هو قبر صديقه فائز إلياس، وهو زميل الشاعر في البرلمان والكتلة الوطنية كما ورد في حاشية الديوان.

[2] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص100.

[3] **المُلتاح**: من الْتَاحَ، بمعنى عَطش. اللسان: (ليح).

[4] **نزحَ**: نأى ورحلَ. اللسان (نزح). و**أتلفَ**: أهلكَ. اللسان: (تلف).

[5] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص116.

الحنين والشوق للربوع والديار ولحفيده الذي لم يره جاعلاً عنوان النصِّ في واحدٍ من أبياتِه ليختزل به أسى السنين التي دفعته شرقاً وغرباً عن واحةِ موطنِه، فتاهَ وسافرَ وحيداً غريباً، يقول:[1]

تغـرّبَ عـن مُخضـلَّةِ الـدَّوحِ بُلْبُـلٌ فشـرّقَ فـي الـدّنيا وحيـداً وغرّبـا[2]

تَحمَّـلَ جُرْحَـاً دَامِيَـاً فـي فُـؤَادِه وغنّـى علـى نـأيٍ فأشْـجَى وأَطْرَبـا

رأى الشاعرُ في غنائه وشعره ما يُشجي ويُطرب معاً، ذلك أنه استطاع أن يحوّل هذا الجرح الدامي في فؤادِه إلى معنىً من المعاني الشعرية المؤثرة. وتحوّل الاغتراب في نفس بدوي الجبل إلى حالة إبداعية أرادها الشاعر وقصدها، فبات يشعر أن آلامه تقدّم له المعاني الجميلة، بل إن الحزن المتفرد هو كالجمال المتفرد، فتلوح صور الاغتراب المكانيّ في نصّه (البلبل الغريب) الذي أرادَ له أن يكونَ اغتراباً مميّزاً بحزنٍ فريد، يقول لملهمتِه:[3]

هبينـــي حُزنـــاً لـــم يمـــرَّ بُمهجَـــةٍ فما كنتُ أرضى منك حُزناً مُجرّبا[4]

وصُـوغيهِ مَشْـبوبَ اللظـى وتخيّـري لآلامـــهِ مـــا كـــانَ أقســـى وأغرَبـــا[5]

فَمَـــا الحُـــزنُ إلا كالجَمَـــالِ، أحبُّـــهُ وأترفُـهُ مـا كـانَ أنـأى وأصـعبا

يحوّل الشاعر القوى السلبية في داخله إلى عالم من الفن، وبات يستشعر أن آلامه باتت مصدر إبداع وإلهام، وأن اغترابه يمده بروافد الجمال المتفرد عن سواه، ورأى كثير من الباحثين تلازماً في العلاقة بين الاغتراب والإبداع، و"أن الاغتراب قد يكون أحد الأسباب الدافعة إلى الإبداع".[6]

يتجه الشاعر برومانسيةِ الباحثِ عن "الألم العبقري" الذي يُلهِمه الإبداع، وهو يريد أن يحوّل شجونَ اغترابه إلى لوحةٍ فنيّة شعريّة، فكان خيالُ مُلهمتِهِ في غربتِهِ ممّا يؤنسُه، وهو يعرض في نصّه أطوار الافتتانِ بمحبوبته وملهمته، لكنّه صانَها وحفظها، يقول:[7]

خيالُـــكِ يـــا ســـمراءُ مـــرَّ بغربتـــي فحيّـا ورحّبنـا طـويلاً ورحّبـا

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص199

[2] **مخضلّة**: من اخضّلتْ، أي ابتلّتْ بالندى. ابن منظور، اللسان: (خضل). **والدّوح**: الشجرُ الكثيفُ الملتفّ. اللسان: (دوح).

[3] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص185.

[4] **المُهجة**: دمُ القلبِ أو الرّوح أو النّفس. اللسان: (مهج).

[5] **المشبوبُ**: هو المتوهّج. اللسان (شبب). **واللظّى**: هو اللهب. اللسان: (لظي).

[6] خليفة، عبد اللطيف محمد، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، ص257.

[7] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص186.

فصـانك حبّـي فـي الخيـالِ كرامـةً وهــمَّ بمــا يهــواهُ لكــنْ تهيّبــا

وتذكّر الشاعر أيامه الجميلة في الشام، ذاكراً لبنانَ ثم الغوطتين اللتين وقفَ هواهُ عليهما في غربتِه، وغلبتِ الدموعُ الشاعرَ في كلّ بيت، ذاكراً مدنَ وطنِه، فهو يعشقُ برقَ الشام الممطر وغير الممطر، ويحِنُّ إلى شاطئ اللاذقية حيث ملعب الأحلام، متذكراً تراب حلب الشهباء، ثم ربوع حماة وحمص، وسهول حوران وجبالها وأرضَ الجزيرة، إنّ الشاعر في نصه هذا وقد كتبه من فيينا أرادَ أن يكون ممثلاً عن المدن السورية كلها، لا عن اللاذقية وحدها، يقول: [1]

وأعْشَـقُ بَـرْقَ الشّـامِ إن كـانَ مُمْطِـراً حَنونــاً بسُــقياهُ وإنْ كَــانَ خُلَّبــا[2]
سَــقَى اللهُ عنــدَ اللاذقيــةِ شــاطئاً مُرَاحَــاً لأحْلامِــي ومَغْنــىً ومَلْعَبــا[3]
وجــادَ ثَــرى الشَّــهباءِ عِطْــراً كَأَنّــهُ عَلَـى القَبْـرِ مِـنْ قلْبـي أُرِيـقَ وذُوِّبـا[4]

وحيَّــا فَلَــمْ يُخطِــئ حَمَــاةَ غَمَامُــهُ وَزَفَّ لحِمْــصَ العَــيْشَ ريَّــانَ طَيّبــا[5]
ونَضَّــرَ فــي حَــوْرانَ سَــهلاً وشــاهقاً وبَــاكرَ بــالنُّعمَى غَنيّــاً ومُتْرِبــا
وجَلْجَــلَ فــي أرضِ الجزيــرةِ صَــيِّبٌ يُزاحِمُ في السُّقيا وفي الحُسْنِ صَيِّبا[6]

إن الشاعر يحنّ إلى وطنه بكل تفاصيله وذكرياته، الوطن الذي برّأه من ذنبِ ابتعادِه عنه، وهو المبعَد قسراً عنه، الوطن الذي سطا عليه فحملَ الشاعر جراحه راضياً وترك اللوم والعتاب بحقه، رغم كل البعد الذي يمزّق قلب الشاعر، يقول:[7]

ولــي وَطَــنٌ أَكْبرتُــهُ عــن مَلامــةٍ وأُغْليـهِ أن يُـدعَى –علـى الـذنب– مُـذْنبا

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص194.

[2] **خُلّب**: سحابٌ لا مطرَ فيه. ابن منظور، اللسان: (خلب).

[3] **المُراح**: المأوى في الليل. اللسان: (مرح). **والمغنى**: المنزلُ الذي عُمِرَ بأهله. اللسان: (غني).

[4] يشير الشاعر إلى قبر سعد الله الجابري.

[5] **الرّيانُ**: هو الأخضرُ من الأغصان، والممتلِئُ من الشيء مكاناً وغيره. اللسان: (روي).

[6] **جلجل**: أرعدَ. ابن منظور، اللسان: (جلل). و**أرض الجزيرة**: هي الأرض التي تقع شرقَ نهر الفرات. **الصيّب**: السّحاب ذو الرّعدِ، وهو المطر شديد الانصباب. اللسان: (صوب).

[7] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص193.

يُمَـزّقُ قَلبــي البُعــدُ عمَّــنْ أُحِــبُّهم ولكــنْ رأيــتُ الــذلَّ أخْشَــنَ مَرْكَبــا

شكّل ابتعاد الشاعر عن وطنه حالةَ أسىً واغتراب تمثلت بحنينه الدائم وأشواقه التي لا تبارح الشام حتى كأن فؤاده مقيم فيها، كتب الشاعر في عام 1963م في جنيف قصيدة سمّاها (حنين الغريب)، وقد تجلى حبه للشام في نصه ذاك، كما تجلى ارتباطه بها، في قربه وبعده، وحله وترحاله، فلا تكاد قصيدة تخلو من ذكر الشام، بأحيائها وضواحيها ورجالاتها وزعمائها الوطنيين.[1]

لذلك نرى في حنينه حضور أسماء الضواحي والأحياء الشامية، كأنّ الشاعر يحاول في اغترابه أن يعوّض فقدانَ موطنِه وأمكنةِ نشوئِه والمرابع الساكنة في وجدانه، فتكثر تفاصيلُ المكانِ لديه، قافزاً بخيالِه إلى عالمِ الوطن، متجاوزاً كلَّ المسافات، قاطعاً شتّى الدروب، لكنه لا يلبث أن يعودَ إلى واقعِهِ الأليمِ بعد زوال طيوفِ الأمكنة، يقول:[2]

تُبَــادهني عِنــدَ البُحَيــرة دمّــرٌ ورَوْضٌ علــى أَفْيائِهــا وشَــميمُ[3]
وَوُرْقٌ علــى شَــطِّ البُحيــرةِ حُــوَّمٌ ووُرقٌ علــى قَلْــبِ الغَريــبِ تحــومُ[4]
خيالٌ جلا لي الشامَ حتى إذا انطوى تَنَــازَعَ قَلْبــي عَبْــرةٌ وَوُجُــومُ[5]

حاول الشاعر ها هنا أن يستعين بأخيلتِه التي تقرّبُ له وطنه البعيد وأمكنته الحبيبة. ولكنه سرعان ما يلتفت إلى واقعه الصعب حين ينجلي الخيال.

وهكذا نرى أن البدوي كان في غربته خارج موطنه حزيناً مغترباً تخالط وجدانه مشاعر الحزن والأسى، مقرّاً بغربته واغترابه، ونأيه وبعده، وقد حنَّ إلى تفاصيل بلده من أماكن وذكريات وأشخاص وقبور، وعاش بدوي الجبل بين موطنه ومنفاه ممزقاً متناثر الخواطر والهواجس.

الحالة الثانية: اغتراب الشاعر داخل وطنه:

---

[1] ينظر: مروة، إسماعيل، والخوري، نزيه، **بدوي الجبل سيف الشعر العربي الحديث**، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2018، ص20.

[2] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص219.

[3] **تبادهني**: تفاجئني. اللسان: (بده). و**البحيرة**: هي بحيرة زرزر. **ودُمّر**: من ضواحي الشام الشمالية الغربية، ويبدو أن الشاعر يمر بها وهو في طريقه إلى البحيرة. **والروض**: الأرض الخضراء ذات البساتين. اللسان: (روض). و**الأفياء**: جمعُ فَيء، وهو الظل. اللسان: (فيأ). **والشميم**: هو المرتفع. اللسان: (شمم).

[4] **وُرق**: جمع ورقاء، وهي الحمامة. اللسان (ورق). **تحومُ**: تُحلّقُ وتدور. اللسان: (حوم).

[5] **جلا**: كشفَ وأظهرَ. ابن منظور، اللسان: (جلو). **الوجومُ**: الصّمتُ المصحوبُ بالحزن. اللسان: (وجم).

المفهوم العام للاغتراب المكاني هو أن ينتقل المرء من مكانٍ إلى آخر، بعيداً عن وطنه وديارِه، فتنشأ علاقة متوترة بينه وبين المكان الجديد، غير أن ثمة نوعاً آخر من الاغتراب، يندرج تحت الاغتراب المكاني، وهو شعور الإنسان بعدم التجانس بينه وبين المكان لسببٍ ما، يولّدُ في النفس شعوراً بالتشرد وعدم الأمان. لقد عانى بدوي الجبل هذا النوع من الاغتراب بسبب جملة من الظروف والعوامل التي مرت به، فشعر باغترابه عن المكان، وتجاوز الشاعر في نفسه حدود الجغرافيا بعد أن قست عليه الظروف، فاستوحشَ وهو في بلده وأرضه، ورأى نفسه مشرّداً فيه طريداً، يقول:[1]

وأنـــــا الغريـــــبُ بمـــــوطني وأنـــــا المشـــــرّدُ والطريـــــدُ

تمرّ بالشاعر محطات قاسية في الاغتراب المكاني، فهو متعلّق بالشام التي فُصلَت عنه، وإنّ فراقه الشام لم يكن لولا أن قام الفرنسيون بتقطيع أوصال وطنه سوريا إلى دويلات عديدة، وقطع المستعمرون صلة تلك الدويلات بأمها دمشق، فكان الشاعر في اللاذقية مقيماً بعيداً عن الشام التي تعلّقَ بها، يقول:[2]

نأيْـتُ عـن الفَيْحَـاءِ لا عـن مَلَالـةٍ وحِيـداً ودَمْعـي يـومَ فُرقَتِهـا مَثْنـى[3]
فللـهِ مغنـى الغـوطتين ولا سَـقَت علـى البُعْـدِ إلا أَدْمعِـي ذلـك المغنـى
حَنَنـتُ إلـى ريّـاكِ والسّـيفُ مُصْـلَتٌ وقَـد يُعْـذَرُ النـائي الغريـبُ إذا حنّـا[4]

يشكو الشاعر وحدته ووحشته بعيداً عن الشام التي يحب، وما يزيد لوعة اغترابه أكثر أنه قريب منها ولا وصول إليها، حتى بات يشكو فراقها وبُعده عنها في مواطن كثيرة من شعره، مدفوعاً بتعلقه بها، رغم قلة عدد السنوات التي مكثها في الشام آنذاك، ولكن يبدو أن الشاعر ارتبط بها ارتباطاً وجدانياً عميقاً، إلى درجة أنه بات يرى أن علاقة البؤس به علاقة وثيقة.

وهو في حديثه عن العلاقة بين البؤس والشاعر يتعجب من ثباته أمام عواصف الأسى وعواطف الحنين يوم فارقَ الشام، لكنه فراق وجدَ نفسه مرغماً عليه، لا يملك لنفسه منه شيئاً، يقول[5]:

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص181.

[2] المرجع نفسه، ص557.

[3] **الفيحاء**: من أسماء دمشق، ومعناها المكان الواسع. **الملالة**: مصدرُ ملَّ، وهي السأم والضجر. اللسان: (ملل). **ومثنى**: معدولٌ عن اثنين اثنين. اللسان: (ثني).

[4] **ريّا**: الرّيح الطيبة، وهي مؤنّث (ريّانَ): وهو المشبَع بالماء، والغصن الأخضر من الشجر، والممتلئ. ابن منظور، اللسان: (روي). **المُصلَت**: السيفُ المجرّد من غمده. اللسان: (صلت).

[5] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص553

كيــفَ لــم أقــضِ حنينــاً وأســىً يــومَ فارقــتُ برغمــي جِلّقــا؟[1]

ومن فلسفة الشاعر في الاغتراب، أن يفارقَ أحبتُهُ المكان، وهي العلاقة بين المكان وساكنيه، لقد بات وجده مشتعلاً على فراق أحبته، وإن ما يفصلهم في المكان الواحد هو الموت، إذ أخذت جياد الموت أحبته بعيداً عنه، وهو في قصيدته (مرابع الأحباب) لم يغادرْ مكانه أو ينأى عن أرضه، غير أنّ الذي نأى هم أهل المكان وساكنوه، يقول:[2]

بَعُــــدَ الــــذين أُحــــبُّهم والوَجْــــدُ يُذكيــــهِ البِعَــــادْ[3]

ويــــلَ الِجيــــادِ فقــــد نَــــأَتْ بــــأحِبّتي تلــــك الِجيــــادْ

ونصّ (مرابع الأحباب) قاله بعد أن مرّ على ربوع "معركة ميسلون" فشعر أن الأرضَ مقفرة بعدَهم. إن الشاعر لم يغادر المكان ولا المكان غادرَه، غيرَ أنّ رحيلَ أهل المكانِ عنه أفاضَ عليه غربةً وألماً.

مواجهة الشاعر اغترابه المكاني:

حاول الشاعر في محطات اغترابه المكاني أن يواجه ذلك الاغتراب، فيتلمس بخيالِه معالمَ موطنه النائي، ليُقرّبَ له خيالُه كلَّ بعيد، والشام التي أحبها وتعلق بها باتت بعيدة، لكنه لم يستسلم إلى اغترابه ذاك، فلجأ إلى خياله لمحاولة التآلف مع الموطن الذي فقده، فيستعين بالائتلاف الفني من خلال شعره وخياله ليستعيد توازنه إزاء ما يطرأ عليه من تحولات، يقول في ذلك[4]:

خيــالٌ جــلا لــي الشــامَ حتــى إذا انطــوى تنــــازعَ قلبــــي عبــــرةٌ ووجــــومُ

وقرّبَهــا مــا شــئتُ حتــى احتضــنتُها وغابــــتْ بحــــارٌ بيننــــا وتُخــــومُ[5]

ويسعى الشاعر البدوي إلى أن يجد المعادل الموضوعي لغربته المكانية في بقاء مشاعره وقلبه في ديار الأحبة، فإن ابتعدَ جسداً، واغتربَ بهيكله، فإنّ له قلباً يعيش في ديار الأحبة، ولا يغادرهم، يقول:[6]

أنــا إن بعــدتُ عــن الــديارِ فــإنني يــا مــيُّ قلبــي فــي ديــارك بــاقي

---

[1] **جِلّق**: من أسماء دمشق.

[2] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص543.

[3] **الوجْدُ**: الشّغفُ والحبّ. اللسان: (وجد). **البِعاد**: مصدر سماعي من (باعدَ).

[4] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص219.

[5] **تخوم**: جمعُ تُخْم، وهو الحد الفاصل. ابن منظور، اللسان: (تخم).

[6] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص549.

ترك الشاعر قلبه في ديار الأحبة حتى يواجه اغترابه ورحيله، وتعزّى في أن وجدانه ما يزال يطوف في المكان الذي يحب، فيجد في ذلك قهراً للاغتراب، ولعله كرر هذا المعنى في غير موضع، هو ذا يقول في نصه (حنين الغريب):[1]

تُطَــوّحُني الأسْــفَارُ شَــرْقاً ومَغْرِبــاً ولكــنّ قَلْبــي فــي الشّــآمِ مُقِــيمُ[2]

ولا نَــالَ مــن قَــدْري اغْتــرابٌ وعُسْــرةٌ يُصــانُ ويُغلَــى الــدُّرُّ وهــو يَتِــيمُ

حرص الشاعر على أن يقاوم اغترابه ويواجهه في كل تفاصيله، رغم انكساره وشوقه وحنينه، فهو تارةً يتركُ قلبَه في دياره، وهو تارةً أخرى قد يحمل معه من أمكنة أحبته أنهاراً تسقيه وتقيه ظمأ اغترابه، يقول في نصه (عاد الغريب) الذي نظمه إثر عودته من الغربة القسرية:[3]

عَــادَ الغَريــبُ ولــم تَظْمَــأْ سَــريرتُهُ فقــدْ حمَلْــتُ بهــا فــي غُرْبتــي بــردى

2.1.1.2. الاغتراب المكاني الموضوعي:

ونعني بالاغتراب المكاني الموضوعي الاغترابَ المكاني الذي لا يلامس الشاعرَ بشخصه، بل يلامس تفاصيلَ موضوعيةً خارجَ كينونته، إنه اغترابٌ يحيط بالتفاصيل التي يراها الشاعر أو يعايشها، أو يوظّفها في قصائده، لكنه لا ينتمي إلى الاغتراب المكاني الذاتي الذي يطول الشاعر. ولعلَّ الشاعر يعمد إلى الاغتراب المكاني الموضوعي حين يجد له صدًى في نفسه وذاته.

لا يكاد الباحث يعثر في شعر بدوي الجبل على شواهد من الاغتراب المكاني الموضوعي، خلا استثناءات قليلة جداً، فهو في نصّه (أين أين الرعيل من أهل بدر؟) يتجلى الاغتراب الاجتماعي برحيل الأحبة، والنفسي بحزنه عليهم، والزمانيّ حين يتذكر زمان الشباب الأول، وعهود رفاقه الأوائل، فلم يبقَ له إلا أن يرى الظلَّ ضيفاً غريباً على الرمال التي استلقى عليها في الصحراء، يقول:[4]

لفَنِــي والــدُّجى علــى هــذه الصَّحْــ ــــراءِ سِــــحْرٌ مُنَمْــــنَمٌ مَجْهُــــولُ[5]

تلــــــك واحاتُهــــــا الظليلــــــةُ والظــلّ غريــبٌ علــى الرّمــالِ نزيــلُ[6]

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص214.

[2] **تطوّحني**: تُلقي بي بعيداً. اللسان: (طوح). **الأسفار**: جمعَ سَفَر. اللسان: (سفر).

[3] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص203.

[4] المرجع نفسه، ص292

[5] **الدّجى**: سواد الليل. ابن منظور، اللسان: (دجي). و**منمنم**: مزخرف موشّى. اللسان: (نمم).

[6] **الظليل**: الماء تحت الشجر الذي لا تصيبه الشمس. اللسان: (ظلل).

إن الاغتراب المكاني هنا أشبه ما يكون بالاغتراب الفني الذي طالته يدُ الاغتراب في النص كله.

2.1.2. الاغتراب المكاني في شعر عمر أبو ريشة:

تتجلى علاقة عمر أبو ريشة بالمكان بصورة مختلفة عما رأيناها عند بدوي الجبل، فالمكان لدى البدوي شكّل حالة وجدانيةً، ارتبط به الشاعر؛ إذ احتضنه المكان واحتضن ذكرياته وتفاصيله.

وعلى الرغم من أن عمر أبو ريشة خرج من بلاده وغادرها، إن لم يكن عاش أكثر عمره خارجها؛ إذ أمضى -كما وجدنا- نحو ستةٍ وأربعينَ عاماً خارج بلاده، وهو خروجُ السفير وطالب العلم، فإننا لا نلحظ في شعره العلاقة ذاتَها التي وجدناها عند البدوي، فالاغتراب المكاني عند أبو ريشة يحمل خصوصية أرادها الشاعر، تتجلى بفلسفته الخاصة وعلاقته بالمكان، مع حالة الترفع عن الشكوى أو الانقياد الوجداني للأسى والحزن، إنّه اغترابُ الدهشةِ الذي يتركه المكان في نفسه، موظّفاً إياه لصالح الفكرة الشعرية، كأنه اغتراب لا يكاد يلامس الشاعر أو لا يريد الشاعر أن يعترف به أو يصرّح.

2.1.2.1. الاغتراب المكاني الذاتي:

لعلّ اغترابَ أبو ريشة المكاني يقع في دائرة الاغتراب المكاني الفني الذي وظّفه الشاعر للتعبير عن فكرته وصورته، في لحظة الدهشة التي أرادها، فلم يكن الطلل عنده طللَ الشاعر العربي على رمزيته ومعناه اللغوي المعروف وهو بقايا الديار، أو ما يثيره من ذكريات ورحيل أحبة واغتراب مكاني في المقام الأول، بل جاءَ مختلفاً يستفز الحياة ويتحدى الموت؛ إذ يقف الشاعر أمام صرحٍ رومانيٍّ قديمٍ عجزَ الموتُ من أن يفتكَ به أكثرَ مما فتك، حيث يغتربُ المرءُ عن حسّه في ذلك المكان، وتبحثُ فيه الأنقاض والهياكل عن الأساس الذي كان، في صورةٍ تحدٍّ عجيبةٍ لكفّ الدمار، ولفلسفة الموت الذي انتحرَ في يأسه، يقف الشاعر أمام هذا المشهد ليزاوج بين الذاتي والموضوعي، ويرسم مشهداً كأنَّه جزءٌ منه، وكأنَّ اغترابه فيه كان تناغماً مع التفاصيل، يقول:[1]

قِفِي قَدمي إنَّ هذا المكانَ ... يَغيبُ بهِ المَرْءُ عن حِسِّهِ
رمالٌ وأنقَاضُ صَرْحٍ هَوَتْ ... أعاليهِ تَبْحَثُ عن أُسِّهِ[2]
لَقَدْ تَعِبَتْ منهُ كفُّ الدَّمار ... وباتَتْ تَخافُ أذى لمسِهِ

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص47.

[2] **أنقاض**: جمعُ نَقْض: وهو بقايا هدم البناء. ابن منظور، اللسان: (نقض). و**الصّرْحُ**: البناءُ العالي. اللسان: (صرح). **الأُس**: الأساسُ والقاعدة من البناء. اللسان: (أسس).

هنـــا يَـــنْفُضُ الـــوهمُ أَشْـــبَاحَهُ ويَنْتَحِـــرُ المَـــوْتُ فـــي يأسِـــهِ

لم يكن الاغترابُ الذي صدمَ الشاعرَ في البيتِ الأوّلِ اغترابَ عجزٍ أو استلاب، إنّهُ الاغترابُ الفنّي الذي أرادَ به الشاعر أن يحققَ الدهشةَ الفنية، و"إن العجز هنا مبعثه هذا الكم الهائل من الأسئلة. إن الشعر لا يتسع لها، ولا لبعضها. إن واجبه الأول أن يعلمنا كيف نقف على الطلل؟ كيف ومتى ننفصل ونتصل؟ كيف نحذر من الاستلاب ونستفيد من الذهول؟ وحركة النكوص عند الشاعر لا تعني أبداً أنه ينفض يديه من الموضوع، ويتخلى عنه جملة. إنه يبحث عن لغة فوق اللغة، بإمكانها إرضاء الشعر وشروطه النظمية، وإرضاء الموقف وفدحِه".[1]

وتأتي العلاقة بين الموت والاغتراب المكاني في شعر عمر أبو ريشة بارزة جليّة، فهو يرى في الموتِ سفراً إلى كوكبٍ آخر في حالة تحدٍّ لاغتراب المكان، يقول في وصيتِه لزوجتهِ:[2]

رَفِيقَتـــي لا تُخْبـــرِي إِخْـــوَتي كَيْفَ الرَّدَى كَيْفَ عَلَيَّ اعْتَدَى

إنْ يَسْـألوا عَنّـي وقَـدْ راعَهـم أنْ أَبْصَرُوا هَيْكَلِيَ المُوصَـدا[3]

قُـولِي لَهـم سَـافَرَ قُـولِي لهـم إنّ لَـهُ فـي كَوْكَـبٍ مَوْعِـدا!!

فالشاعر لا يضعف أمام اغترابه الحتمي الجديد، بل يرى في ذلك سفراً إلى موعدٍ آخرَ في كوكبٍ آخر. إن صورة الموت هي واحدة من تحولات المكان، غير أنّ الشاعر أراد أن يجعل منها اغتراباً مكانياً خاصّاً، في رحلة البحث عن خلود الروح، والموعد المنتظر على كوكب آخر.

وقد يعمد الشاعر إلى الجمع بين الذاتي والموضوعي في توظيف شعري واحد، وفي نص واحد، فحينما قفز به الخيال إلى الموت، وأصابه ما يصيبُ المخلوقاتِ كلَّها، شكا حال غرفته التي اغتربت بعده، وشكا موته واندثارَ ذِكْرِه، إنَّ المكانَ الذي تركَهُ يشكُو الوَحْشَةَ والصَّمت، فكأنّهُ مكانٌ مَنْسِيّ، وإن الراحل عنه يكاد يموت حقّاً، وتغيب ملامح ذكرياته وعمره الشتيت، أراد الشاعر حينها أن يعيد الحياة إلى حجرته الوحيدة، كما أرادَ لأوراقه وأشعارِه أن تكتبَ له الخلود حين اغتربَ ومات، قال مخاطباً محبوبته:[4]

---

[1] مونسي، حبيب، **فلسفة المكان في الشعر** العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص41.

[2] أبو ريشة، **ديوانه**، ص365.

[3] **راعَهم**: أخافَهم. ابن منظور، اللسان: (ريع). و**الهيكلُ**: الهيئة والصورة. اللسان: (هكل).

[4] أبو ريشة، **ديوانه**، ص143.

إنّها حُجْرَتي.. لقدْ صَدِئَ النّسيا نُ فِيها وشَاخَ فيها السُّكُوتُ!
عِنْدَ كَأْسِيَ المَكْسورُ حُزْمَةُ أَوْرَاقٍ وعُمْرٌ في دَفّتَيْهـــا شَتِيْتُ
اقرَئِيهـا لا تحجُبي الخُلـدَ عنّي انشُرِيها.. لا تتركيني أموتُ

فهو يرى أن أوراقه المكتوبة وأشعاره ستعيده من عالم اغترابه إلى عالم الخلد والحياة الأبدية، وتعود الحياة كذلك إلى حجرته بدخول محبوبته عليها.

ويعمد عمر أبو ريشة إلى إسقاط مشاعره على سواه، ولكنه ما يفتأ يربط بين ذاته وبين موضوعه، وهو ما يمكن تسميته (**الاغتراب المكاني النظير**)، وهو الاغتراب المكاني الذي أرادَ أن يتحدّث فيه أبو ريشة عن سواه، لكنّه أحال في نصّه إحالاتٍ وإشارات إلى تناظر العلاقة بين موضوعه وبين ذاته، كما نجد ذلك في قصيدة (نسر)، فهو في هذا النصّ يصوّر اغتراب النسر عن وكره وعشّه في القمم، حيث اعتاد هناك أن يعيش في الأعالي لينزل مبتعداً عن موطنه إلى السفح بعد أن خارت قواه وبات عاجزاً عن أن يصطاد فرائسه بنفسه، يصوّر أبو ريشة اغتراب ذلك النسر بعيداً عن عشّه في القمة، هناك حيث ألفه السحاب وذكريات قبلات الضحى في صورة شعرية شاهقة، فيقول:[2]

هَجَرَ الوكْرَ ذَاهِلاً وعَلَى عَيْنَيـ ـهِ شَيءٌ من الوداعِ الأخِيرِ[1]
تَارِكَـاً خَلْفَـهُ مَوَاكِـبَ سُـحْبٍ تَتَهاوى من أُفْقِها المسحُورِ
كَـمْ أكبَّـتْ عَلَيـه وهـي تُنـدِّي فَوْقَهُ قُبْلَةَ الضُّحى المخْمُورِ

إنها صورة اغتراب النسر عن وكره، وصورة اغتراب السُّحبِ بعد رحيله، تلك السحب التي اعتادت أن تقبّله وقت الضحى وهو يحلّق في السماء، لكنه هجرَ موطنَه وقد ترك الوداعُ على عينيهِ شيئاً ربما يكون دمعاً يترفع الشاعرُ عن أن يسمّيه كذلك. ثم يتابع الشاعر في رسم اغتراب المكان لدى النسر، الذي هبط إلى السفح وقد طوى أمنياته، بعد أن ضعفَ وأصابهُ الوهنُ، ولم يبقَ من ماضيهِ إلا صورةٌ هيبتِهِ، يقول:[3]

---

[1] **الوكرُ**: عُشُّ الطائر. ابن منظور، اللسان: (وكر).

[2] أبو ريشة، **ديوانه**، ص341.

[3] المرجع نفسه، ص341.

هَـبَطَ السَّـفْحَ طَاويـاً مـن جَنَاحَيـِ ـهِ عَلَـى كُـلِّ مَطْمَـحٍ مَقْبُـورِ[1]
نَسَـلَ الـوهْنُ مِخْلَبَيْـهِ وأَدْمَـتْ مَنْكِبَيْـهِ عَوَاصِـفُ المقْـدُورِ
والوَقَـارُ الـذي يَشِـيعُ عَلَيْـهِ فَضْـلَةُ الإرْثِ مـن سَـحِيقِ الـدُّهُورِ

حلت بالنسر صورةٌ مؤلمة من صور الاغتراب المكاني بعد أن هجر عشه، فماتت أمانيه وطموحاته، وغدا ضعيفاً واهناً، فلم يعد يستطيع أن يظلَّ مغترباً هكذا عن قمّتِه الشماء ووكره العالي، ولم يكن منه إلا أن استجمع قواه، واستعاد كبرياءَه ليعود صارخاً بعزِّه ميتاً في "حضن وكره المهجور" كما يتجبى ذلك في نص الشاعر، وقد أبى أن يموت إلا حيث اعتادَ أن يكون. يختم الشاعر عمر أبو ريشة نصّه فيقول:[2]

أيّها النسرُ هل أعودُ كما عُدْ.. تَ أم السّفحُ قد أماتَ شعوري؟!

استطاع عمر أبو ريشة من خلال سردية النسر أن يعبّرَ عن اغتراب النسر وواقعه بعد أن فقدَ عشه ومشى فيه الزمن، غير أن المفاجأة كانت في البيت الأخير الذي أسقط فيه عمر نفسه مكان النسر، متسائلاً إن كان سيعود كما عاد النسر، أو أنّ مشاعرَه قد فنيت وماتت بعد أن اغتربَ عن موطن كبريائِه العزيز.

إنّ الكبرياء الذي عُرفَ به عمر أبو ريشة حالَ دونَ أن يَضعفَ الشاعر أمام مشاهد الغربة المكانية، لعلّه كان يرى في تلك البلاد التي زارها رحلة اصطياف وفسحةً للتآلف مع الذات أكثر مما هي ساحة اغتراب ومنأى عن الربوع.

وهكذا نرى أن الاغتراب المكاني الذاتي عند أبو ريشة لم يكن إلا اغتراباً فنيّاً فلسفياً، حاول الشاعر به أن يعطي اغترابه المكاني أبعاداً ذات محتوًى فكري، مستعيناً بأدواته الفنية كإسقاط المشاعر أو الرحلة في الخيال وغير ذلك، ولذلك لا نعثر في شعر عمر أبو ريشة على أية محاولة منه لقهر اغترابه الذاتي، أو مقاومته، لأن الشاعر أصلاً –كما نرى– لا يقرّ باغترابه ذاك، في حالة تناغم وتآلف تام مع محيطه المكاني.

[1] **السّفح**: أسفل الجبل. اللسان: (سفح).
[2] أبو ريشة، **ديوانه**، ص243.

2.1.2.2. الاغتراب المكاني الموضوعي:

عُني الشاعر عمر أبو ريشة بمواضيع الاغتراب في شعرِه، وهو يصوّر اغتراب اللاجئين والنازحين الذين أبعدتهم يد الصهاينة عن ديارهم عام 1948م، ويعيش مأساتهم بحزنها وتفاصيلها الأليمة، من مفارقة الديار والربوع، يقول:[1]

كَـــمْ مُتْعَـــبٍ جـــرَّ الســـنينَ وراءَهُ ومشـــيبُه يبكـــي جـــلالَ وقـــارِه
مُتلفّتـــاً صَـــوْبَ الـــدِّيارِ مودّعـــاً وخُطَـــاه بـــين نهوضِـــهِ وعِثـــارِهِ

يُعنى الشاعر هنا باغتراب اللاجئين الذين دفعَهم الأعداء إلى مغادرةِ بلدهم، فترى الصورة الشعرية التي ترسم المشيب وهو يبكي وقارَ صاحبِه، وترى المتعبين وهم يجرّون السنينَ وراءهم وهم يتلفتون صوب ديارهم، في رحلة اغتراب مؤلمة عن الوطن، حتى غدت قوافل الحق ذاته طريدةً يضربها الظلم من كل جانب.

ويحكي عمر أبو ريشة في سرديةٍ له، حكاية المهاجر الذي ركب البحار وقطع الحدود والمسافات، ليعيش وحيداً مغترباً في بلادٍ نائية، باحثاً عن مزيد من الثروة والترف الاقتصادي، يقدّم الشاعر عمر أبو ريشة صورة الاغتراب المكاني تلك ويذم الهجرة والنأي عن الربوع، لا سيما إذا كان ذلك من أجل حياته المادية والاقتصادية، تراه في قصيدة يسميها (المهاجر) يقول:[4]

وَدَّعَ الأهـــلَ وأخلَـــى ربعَـــهُ وبَكَـى الحـبَّ الـذي شـيَّعَهُ[2]
ســارَ والأيــامُ تحــدُوهُ وهيهــا تَ للأيـــــامِ أن تُرْجِعَـــــهُ[3]
ربمّــا يَقْضِــي غريبــاً لــم يَجِــدْ حولَــهُ عينــاً بَكَــتْ مَصْــرَعهُ
رَكِــبَ البحْــرَ ولــو كــانَ لــه درُّهُ مُلْكَـــاً لمـــا أشـــبَعَهُ

ويرى عمر أبو ريشة الموتَ نزوحاً واغتراباً مكانيّاً في رثائه للشيخ مصطفى نجا[5]، يغدو الموتُ نزوحاً إلى دارٍ تربّعَ فيها المرسلون في صورة نعشٍ تحفُّه الملائكة، يقول:[6]

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص28.

[2] **الرّبع**: الدّار. ابن منظور، اللسان: (ربع).

[3] **تحدوه**: تدفعه. اللسان: (حدو).

[4] أبو ريشة، ديوانه، ص357.

[5] الشيخ مصطفى نجا: مفتي بيروت كانت له مواقف واهتمامات اجتماعية وتعليمية، وكان ممن نادوا بعدم فصل لبنان عن الوطن الأم سوريا، له مؤلفات ومجموعة أشعار، وهو صوفي شاذلي، وكان شيخه هو علي نور الدين اليشرطي، جد والدة عمر أبو ريشة.

[6] أبو ريشة، ديوانه، ص132.

ألا يـــا نازحـــاً عنـــا لـــدارٍ تربَّـــعَ فـــي ذراهـــا المرســـلونا
مشـى بـك نحوهـا نعـشٌ طهـورٌ تحـفُّ بـه الملائـكُ أجمعينـا[1]

والشاعر في رثائه المعرّي يغوص في فلسفة الاغتراب المكاني، متحدّثاً عن حنين الشريد الطريد لربعه وأهله، مهما ذاق منهم من شقاء، ويظهر ما أصاب المعري من ألوان المُر، وقد سئمَ العيش في دار الدنيا، يقول:[2]

قـــد يحـــنُّ الطريـــدُ للربـــعِ مهمـــا سـامَهُ الربـعُ شِـقوةً وهوانـا![3]
هـذه الـدارُ كـم سـئمتَ بهـا العـيشَ وكَـــم ذُقْـــتَ مُرَّهَـــا ألوانـــا

مقارنة ونتائج:

أولاً: من ناحية الاغتراب المكاني الذاتي:

ظهر الاغتراب المكاني الذاتي في شعر **بدوي الجبل** كما رأينا، وتركّز في ذات الشاعر الذي عانى من الاغتراب المكاني وهو خارج بلاده حيناً، وعانى منه وهو داخل بلاده حيناً آخر. وتمثّل الاغتراب المكاني الذاتي عند بدوي الجبل بمظاهر الحزن والأسى بالبعد عن الوطن والديار والشوق والحنين إلى ما كان عليه قبل اغترابه، مع حرص الشاعر على ذكر التفاصيل، وأمله بالعودة إلى حيث كان. وقد حاول بدوي الجبل قهر اغترابه الذاتي بخياله وفنه، فاستحضر في غير مرة صورة الوطن ومدنه وأحيائه وشخصياته، وذهب –فنيّاً– أبعد من ذلك بأن جعل قلبه مقيماً حيث رحل، ووجدانه حاضراً في مساكن الأحبة.

أمّا الاغتراب المكاني الذاتي عند **عمر أبو ريشة** فقد أخذ شكلاً مختلفاً عن بدوي الجبل تماماً، فلم يعثر الباحث في ديوان عمر أبو ريشة على أشعار يحكي فيها الشاعر ألمه الذاتي وحزنه المباشر على فراقه الوطن أو الديار مع أنّ الشاعر عمر أبو ريشة عاشَ أكثرَ من خمسةٍ وأربعين عاماً خارج بلاده. ومردُّ هذا الاختلاف بين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة –كما يرى الباحث– إلى أنّ بدوي الجبل خرج من دياره ووطنه مكرَهاً، هارباً بنفسه من الموت والسجنِ والاعتقال، فترك هذا أثراً عميقاً في نفسه وظلت نوازع الحنين تشده

---

[1] وردت كلمة (أجمعينا) كما هي في الديوان، مع أن الأصوب من جهة النحو والعَروض: (أجمعونا).

[2] أبو ريشة، **ديوانه**، ص392.

[3] **سامَ**: عاقبَ. ابن منظور، اللسان: (سوم).

إلى وطنه الذي لم يخرج منه طواعية، إلى وطنه حيث يجد ذاته ووجوده الإنساني، بينما خرج عمر أبو ريشة من بلاده سفيراً يمثّلُ بلاده في المحافل الدولية وفي شتى بقاع الأرض، وهذا ما جعل عمر أبو ريشة بعيداً عن الإحساس الذاتي بالبُعد والفراق المكاني لأنّه كان يمثّلُ –دبلوماسيّاً– كل تلك المساحات المكانية من بلاده، فلم يضق به شعور الابتعاد عن وطنه، فضلاً عن اختلاف علاقة الشاعرين بالمكان ورؤيتهما. ذلك فيما يخصّ الاغتراب المكاني خارج الوطن.

أما فيما يخص الاغتراب المكاني داخل الوطن، فقد عانى منه بدوي الجبل حين ابتعد عن الشام في اللاذقية، وعانى منه بشعوره النفسي كونه شريداً في وطنه كما يصوّر نفسه، غير أننا لا نجد مثل هذا في شعر عمر، ولم نعثر على نظير لذلك الاغتراب المكاني لديه.

وتمثّلَ الاغتراب الذاتي في شعر عمر أبو ريشة اغتراباً فلسفياً، بعلاقة الشاعر بظواهرَ عاينها أو لاحظها أو تخيّلها، كالموت المتخيّل بعيداً عن الحُجرة، والجسرِ القديم الذي تغيب عنده الحواس وتحيا التفاصيل، وبالاغتراب المكاني النظير كقصيدة (نسر)، وكذلك بإسقاطات اغتراب الشاعر على المحيط.

ثانياً: من ناحية الاغتراب المكاني الموضوعي:

لم يسجّل ديوان بدوي الجبل ظواهر اغتراب موضوعية إلا في مواضع نادرة كما جاء سابقاً، ولم يجد الباحث في شعر بدوي الجبل من تصوير الاغتراب خارج ذات الشاعر، بينما حفلت قصائد عمر أبو ريشة بهذا النمط من الاغتراب المكاني الموضوعي، فصوّرَ اغتراب اللاجئين الخارجين من فلسطين، وتأثر لحال اغتراب الفيلسوف والشاعر المعري[1]، ورأى في اغتراب الباحثين عن المال طمعاً ومهانة، واستقدمَ صورة الاغتراب في العلاقة بين الموت والميت.

تجاوز عمر أبو ريشه ذاته في الإحساس بالاغتراب المكاني، وانتقل إلى ذوات الآخرين، كأنها حالة موضوعية منفصلة عن ذاته، ولا ريب في أنّ هذا يعود إلى صدى ما يجده الشاعر في أعماق نفسه، كأنّ الشاعر يستحضر صورة التمثيل الدبلوماسي الرفيع مقابل صورة التمثيل الفني الرفيع لاغتراب المكان في ذاته وذوات الآخرين معاً.

[1] للشاعر بدوي الجبل كذلك قصيدة في حق المعرّي، ولسوف نجد في هذا البحث لاحقاً، كيف عرض الشاعر بدوي الجبل اغترابه النفسي الذاتي في ذلك النص.

2.2. الاغتراب الزماني بين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة:

قد يكون الاغتراب الزمانيُّ نابعاً من "ظروف اللحظة" التي يعانيها الإنسان أو الشاعر، تتصل تلك اللحظة بالمكان وبالأشخاص وبتقلبات الحوادث، غير أن الاغتراب الزماني يعني في المحصلة عدم قدرة الإنسان على التفاعل مع اللحظة التي يعيشها لموانع معينة أو لارتباطه بزمن آخر مضى أو زمن منتظر، فلا يستطيع التآلف مع مفردات الزمان وقوالبه وتفاصيله، كاليوم والشهر والسنة والدهر والأيام وغير ذلك من تصاريف الزمان.

ومن الصعب أن نجدَ الحدّ الفاصل بين الاغتراب الزماني ومجاوراته من أنواع الاغتراب، فلا يُجزّأ الإنسان ولا تُجزّأ مشاعره وتقلباته إلا من باب محاولة تصنيفها لتسهيل معالجتها ودراستها والسيطرة عليها. إنه يصيبُ الناس جميعاً، فمنذ القديم والبشر يشكون صروف الدّهر، لكن الاغتراب الزماني أكثر جلاءً عند الشاعر.

2.2.1. الاغتراب الزماني في شعر بدوي الجبل:

وينقسم الاغتراب الزماني قسمين: ذاتي وموضوعي.

2.2.1.1. الاغتراب الزماني الذاتي:

تتفاوتُ العلاقة بين الشاعر وبين إحساسه بالزمان تبعاً لما يصيب الشاعر من حوادث، وقد يكون اغتراباً زمانياً هنا لدى شاعر، وائتلافاً زمانياً هناك عند آخر، وقد تمثلت العلاقة بين الشاعر البدوي وبين الزمان بما يمرّ من تفاصيل وأحداث مرتبطة بالزمان، فالعلاقة لم تنطوِ على كونه زماناً مجرداً قدر انطوائها على ما بداخل الزمان من أحداث، فهو شامل للمكان والحوادث، والشاعر لا يشعر بالزمان وقتاً يمرُّ ودقائق تمضي، فهي تكسب قيمتها بمضمونها لا بشيء آخر.

وقد يظهر الزمان لدى بدوي الجبل نسبيّاً، فلا تمسكه حسابات الوقت المنطقية، ولا تحيط به أرقام وأعداد مما يتفق في أمرها العقل، فللبدوي إحساسه الخاص بالزمان، فهو يشعر به شعوراً مختلفاً عن باقي الناس، إنه يقول :[1]

أَعْطِنـــي فـــي رُبِـــوعِ جِلَّـــقَ يومـــاً يـا خَلِيلِـي وخُـذْ مـن العُمـرِ عامـا

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص658

فهو يقايضُ عاماً كاملاً مقابل يوم واحدٍ شريطة أن يقضي يومَه ذاك حيث يحب، في المكان الذي يألف في الشام. ولذلك فقد غدت العلاقة بين بدوي الجبل والزمان علاقةَ تفاصيل يعيشها في مكان ما وعلى شكل ما.

ويرى البدوي ما رآه كثير من الشعراء قبلَه من طول الليل بعد غياب الراحلين، ويُحمّل الزمان مسؤولية فقْدِ النابغين والمبدعين، فتراه في مقام الرثاء يقول:[1]

الليـــلُ بَعْـــدَ الـــرَّاحِلِين طَويـــلُ أو مـا لِصـبغِكَ يـا ظَـلامُ نُصـولُ[2]

يَطْـوِي الزّمَـانُ النـابغينَ فتنطـوي لـــذهابِهم أُمَـــمٌ ويَهْلَـــكُ جِيـــلُ[3]

لم يسبقِ الشاعرُ إلى هذه المعاني، ولم يكن اغترابه بفعل الزمان إلا في السياق الإنساني العام، فهو يتحسّر في مقام آخر على ما فات من عمرِه، متخوفاً من شبح الرحيل الذي اقترب، حزيناً على عهد الشباب الأول، يقول:[4]

عَـــاطِفَتي.. مَرْحَمَـــةً واذْهَبـــي لـم يَبْـقَ مـن عُمـرِيَ غَيْـرُ القَلِيـلْ[5]

أَبلَيْـــتِ مـــن جِـــدّةِ عَهْـــدِ الصِّـــبا ظُلْمَـــاً وعَجَّلْـــتِ أَوَانَ الرَّحِيـــلْ[6]

هنا تتمازج العاطفة بعلاقة الزمان، إذ يستشعر ذهابَ عمره، فلم يبق منه إلا القليل، فكانت العاطفة سبباً في تعجيل الرحيل، والغريب أن الشاعر نظم هذا القول عام 1923م كما ورد في ديوانه، وهذا يعني أنه لم يبلغ العشرين من عمره آنذاك، واستشعار الرحيل هذا وذهاب العمر كان بأثر العاطفة عليه، ويبدو أن أثر العاطفة على تفاصيل الزمان لديه كانَ قويّاً، فظهرَ الشاعرُ خاسراً صِباه وثوبَ شبابِه.

وهو ما يزالُ يحمّلُ الزمان ما يجري له، الزمان الذي كان سبباً في الإطاحة بأهدافه ومآربه، فكان الشقاء نصيب الشاعر الذي غدا بلا أي هدف، يقول:[7]

قـد كـان لـي أربٌ طـاحَ الزمـانُ بـه فيـا شـقاءَ فتـىً يحيـا بـلا أربِ

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص643.

[2] **النُّصولُ**: زوال اللونِ. ابن منظور، اللسان: (نصل).

[3] **النابغ**: من كان عظيم الشأن. اللسان: (نبغ).

[4] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص627

[5] **المرحمة**: الرّحمة. اللسان: (رحم).

[6] **أبلى**: أتلفَ. اللسان: (بلي). و**الجِدّةُ**: الجديد. اللسان: (جدد).

[7] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص594

والمعنى ذاته يتكرر عند البدوي في مواضع كثيرة أخرى، بترادفات لفظية كالدهر والأيام، فهو المسؤول عما أصاب الشاعر، فيما يُرَى منه ظاهراً وما لا يُرى منه باطناً، ومن ذلك مثلاً ما ورد في قصيدته (الشاعر والبؤس)، يقول:[1]

مَــرَّ بــي الــدَّهْرُ فــأدمَى مُقْلَتِــي بعــدَ أنْ أثْبَــتَ فــي قَلبــي سِــهَامَهْ

وفي موضعٍ آخرَ وهو يتحدث عن ربوع الأحبة التي يرى أن الزمان قد سلبها الجلال والجمال، يقول:[2]

ســــلبَ الزّمــــانُ جلالَهــــا وجمــــالَ فرقــــدِها الرفيــــعْ

إنّ معنى "السّلْبِ" والفقدِ الذي تعرّض له البدوي أمام حوادث الزمانِ وصروفه، يمثّلُ الظاهرةَ الأبرز في اغترابه الزماني، بفعلِ ما أخذ منه الزمان من العمر حيناً، ومن فقدِ الأحبة حيناً، وبات كالشجر الذي تجنّبه الربيع، فلا يزهر ولا يثمر، مسلوب الخير والجمال، يقول:[3]

وعَرّتْنــيَ الأيــامُ ممــن أحــبُّهم كأيــكٍ تحامــاهُ الربيــعُ ســليبِ[4]

أفــي كــلِّ يــومٍ لوعــةٌ بعــد لوعــةٍ لغربــةِ أهــلٍ أو لفَقْــدِ حبيــبِ

إن مفردات اغترابه الزماني واضحة جلية في البيتين السابقين، من مثل: (وعرّتني – سليب – لوعة – غربة – فقد)، منسوبةً إلى (الأيام – يوم)، وذلك كله يفضي إلى غربةٍ عن الأهل، وفقدان محبوب، حتى يمسي كأنه أيكٌ تحاماه الربيع.

ولعل من مظاهر الاغتراب الزماني لدى كثير من الشعراء هو الحنين إلى الشباب ومقارعة الشيب وتفاصيله، وتجلت هذه الظاهرة في شعر البدوي في مواضع كثيرة، فهو يخاطب دوحاً بالقول:[5]

وغــداً يعــودُ لــكَ الشّــبابُ، ولــن يعــودَ لــي الشــبابُ

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص552.

[2] المرجع نفسه، 546.

[3] المرجع نفسه، ص67.

[4] **الأيك**: الشجر الملتفّ الكثير. ابن منظور، اللسان: (أيك). و**تحاماه**: تجنّبَه. اللسان: (حمي). و**سليب**: بمعنى مسلوب.

[5] بدوي الجبل، ديوانه، ص78

يعود الربيع إلى الدوح فيزهر من جديد، ويبقى خريف العمر ملازماً بدوي الجبل، وتظل الحسرة لصيقةَ الشاعر الذي لن يعود إليه شبابُه وهو مقيّدٌ بأصفاد الشيب، حتى غدا هذا الشيب قيداً يمسك الشاعر عن التقدم في الحياة وتحقيق المنجز، يقول:[1]

وكيـــف وثـــوبي للزمـــانِ وأهلـــهِ وللشـيبِ أصـفادٌ يُعقـنَ وثـوبي[2]

لقد جعل الشاعر للشيب أصفاداً تمنع الوثوب والنماء والتقدم نحو تحقيق الهدف، وهو يرى في موضع آخر أن الحياة بعد عهد الشباب زيادة، وأن الحياة الحقيقية هي حياة الشباب، يقول:[3]

يـــا رفـــاقي بكيـــت فـــيكم شـــبابي كـلُّ عهـدٍ بعـد الشـبابِ فُضـولُ

إن بدوي الجبل إذ يصرخ باغترابه الزماني بين حين وآخر، يرى في القلبِ من عهد الشباب الذي لا يشيب، ومن معاني الفتوة والجمال التي لا تطولها يد الزمان، ولا تصل إليها حوادث الدهر، ولعل هذه المعاني هي محاولة للمواجهة والتعويض رغبةً من الشاعر في التأقلم مع ما هو عليه وما آل إليه، وهو تعويضٌ فني يلجأ إليه الشاعر لمواجهة اغترابه،[4] يقول:[5]

فـي القلـبِ كنـزُ شـبابٍ لا نفـادَ لـه يُعطي ويـزدادُ مـا ازدادتْ عطايـاهُ[6]

يبقـــى الشـــبابُ نـــديّاً فـــي شـــمائلِه كـلُّ الرّحيـقِ المُنـدَّى فـي زوايـاهُ

يجد الشاعر في قلبه ما يعوضه عما يصيبه من اغتراب زماني، فالشباب وإن ولّى زمانُه، ففي القلب كنز شباب لا ينقص ولا ينضب.

وهكذا نرى أن تجليات الاغتراب الزماني الذاتي عند بدوي الجبل كانت مرتبطة بالعلاقة بينه وبين أحداث الزمان نفسه، ورغم خصوصية الزمان في نفسه شاعراً، فإن ما طال الشاعرَ من اغتراب زماني لم يفارق معاني تحميله مسؤولية التحوّلات والتغيّرات الطارئة عليه، وغياب الأهداف التي أطاح بها، وسلب الأحبة وغربة الأهل، وتعرية الشاعر من المطلوب والمحبوب، إضافة إلى عهد الشباب الذي تكون الحياة بعده زائدة إذ فعل الزمان ما فعل، ولا طريق لمواجهة اغترابه إلا بما سكن القلب فلا يحول ولا يزول.

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص67

[2] **أصفاد**: جمع (صَفَد)، وهو القيد. ابن منظور، اللسان: (صفد).

[3] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص298

[4] وجدنا سابقاً مثيلَ ذلك في مواجهة البدوي اغترابَه المكاني.

[5] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص484

[6] **النّفاد**: الفناء. اللسان: (نفد).

2.2.1.2. الاغتراب الزماني الموضوعي:

لم تختلف علاقة البدوي بالزمان الذاتي له، عن علاقته بالزمان الموضوعي، لكنّ حرب الإنسان مع الزمان قد تتحوّل إلى مهادنة، وتتوقف المعركة بينهما -كما يرى- وهذا متوقف على قدرة الإنسان على مواجهة الزمان وأحداثه.

فيرى بدوي الجبل أن العلاقة بين الإنسان والزمان هي علاقة حرب لا ينتصر فيها الإنسان، لذا فهي تستوجبُ المهادنةَ أحياناً، فهو في مرثيّته للشيخ عبد الله درويش وهو أحد أعيان منطقته يقول:[1]

اليــومَ هادنــتَ الزمــانَ وطالمــا جالدتَـهُ فـرداً وصُـلتَ وصـالا[2]

بلغــتْ بــك التســعينَ همّــةُ ماجِــدٍ يطـأُ الصِّعابَ ويركـبُ الأهـوالا[3]

إنه وإن بلغ التسعينَ بهمته ومواجهة الصعاب والأهوال، فهو مستسلم لها، رغم ما بينهما من معارك، والشاعر بدوي الجبل يرى في بيته الثاني أنّ مصارعة الزمان وحوادثه بالهمّة تطيل العمر، لكنّ السنين خدّاعة كما يصفها، ومهما غالبتَها وأمنتَها، فإنها ترديكَ، يقول:[4]

غَالبْتَهــا فرأتْــكَ أمضَــى عزمــةً منهــا وأنفَــذَ فــي القِــراعِ نِصَــالا[5]

حتــى إذا ألقَــتْ إليــكَ عِنَانهــا وأمِنْــتَ فــوقَ سَــراتِها الإجفــالا[6]

خلّتْــكَ والتســعونَ إن صــاحبْتَها صــاحَبْتَ خَــدّاعَ المنــى ختّــالا[7]

ويرى الشاعرُ في النصّ نفسه أنّ الذي يفعل فعلته في الناس هو الزمان، وأحداثه هي التي جعلت الولدانَ شيباً، ولئن حال بينهم الزمان، فإنّ الحب لم يحل بينهم، إذ هو يواجه به عواصف الزمان وصروفه، يقول:[8]

فــي ذمّــةِ الأقــدارِ مَصْــرعُ أمّــةٍ مَسَــخَ الزّمــانُ كُهولَهــا أَطْفَــالا[1]

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص714

[2] **صالَ**: وثبَ وكرَّ وهجمَ. ابن منظور، اللسان: (صول).

[3] **يطأُ**: يدوسُ. اللسان: (وطأ). **الأهوال**: جمع (هَوْل)، وهو الأمر الشديد. اللسان: (هول).

[4] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص715.

[5] **أمضى**: أكثرُ حِدّة. ابن منظور، اللسان: (مضي). و**النِّصال**: جمعُ (نَصْل): وهو حديدةُ الرّمح والسهم والسكين. اللسان: (نصل).

[6] **العِنان**: سَيْرُ اللّجام الذي تُمسَك به الدّابة. اللسان: (عنن). و**السَراة**: أعلى الظّهر. **اللسان**: (**سرا**). **الإجفال**: من (أجفلَ) وهو بمعنى أفزعَ.

[7] **الختّالُ**: كثيرُ الغدرِ. اللسان: (ختل).

[8] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص714.

حَـالَ الزّمـانُ فلـم أَزُرْكَ وقـد دَنَـتْ دَارٌ ولكـنَّ الهـوى مـا حَـالا[2]

فالزمان هو المسؤول عن تقلبات الأحداث وتفاصيل الحياة، وهو الذي حالَ بينه وبين ممدوحه في النص، وإن كان الحب الذي يحمله له لم يحل دون ذلك.

إنّ الشاعر في الأبيات يرى انتكاساتٍ ومصائبَ بفعل الزمان، ويردها صراحةً إليه. فها هو يبكي حال جزيرة العرب وما مرّ عليها من خطوب، ويرى أنّ الزمان هو المسؤول عن ذلك، يقول:[3]

وأبـــادَ فتيتَهـــا الزمـــانُ وطالمـــا مـــرَّ الزمـــانُ بفتيـــةٍ فأبادَهـــا

وهكذا نرى أن بدوي الجبل في علاقته بالاغتراب الزماني الموضوعي لم يختلف عن بدوي الجبل المغترب زمانياً، فهو يرى أن حوادث الزمان هي سبب التحول والتغيّر الذي يصيب تفاصيل الحياة، ولا مجال للمواجهة مهما هادنَ الإنسانُ زمانه.

2.2.2. الاغتراب الزماني في شعر عمر أبو ريشة:

وينقسم كذلك قسمين: ذاتي وموضوعي.

2.2.2.1. الاغتراب الزماني الذاتي:

يتجلى الاغتراب الزماني الذاتي في شعر عمر أبو ريشة بصورةٍ وجدانية يرثي فيها الشاعر شبابَه حيناً ويصف ما بقي من عمره حيناً آخر، فليس لعهد الشبابِ أن يبقى، وليس لشاعرٍ أن يمسكَ لحظاتٍ تمضي، لتتجلى للشاعر وحشة غربته على ما تبقى من حياته.

وفي أوج لحظات الغربة التي يعيشها عمر أبو ريشة، كما يصورها في شعره، يرى أن الغربة قد أكلت عمره إلا بقية يسيرة منه، بل يطالب وحشة غربته أن تغفو وتنام على ما تبقى له، يقول:[4]

هُـوَ ذا هيكلـي! فيـا وَحشَـةَ الغُـرْ بـــةِ نـــامي علـــى بَقيّـــةِ عُمْـــرِي
طَـالعتْني أطيافُـهُ مـن كُـوَى الشَّـو قِ وغَابَتْ ما بينَ صَحْوي وسُكْرِي[5]

فلـم يبـق للشـاعر مـن عمـره سـوى بقيـة تـأتي علـى صـورة أطيـافٍ وادعـة مـن نوافـذ الشـوق. ويطولُ درب الشاعر عمر وينتهي زاده ويمضي عمره، ولكن كل ذلك على "ظهر قصيدة"، إنّ إحساسَ

---

[1] **مَسَخَ**: حوّلَ الصورةَ أو غيّرَ الهيئةَ.

[2] **حالَ**: منعَ الحدوث. اللسان: (حول).

[3] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص649.

[4] أبو ريشة، ديوانه، ص53.

[5] **الكُوَى**: جمعُ (كوّة)، وهي الخرقُ في الجدار، أو الفتحة ابن منظور، اللسان: (كوي)..

الاغتراب الزماني لديه بات في أوجِه، وهو يرى نفسه الفارسَ الذي أمضى عمره على فرسِ القصيدة، ليتجلّى الاغتراب الزماني هنا بانقضاء العمر وزوال الحياة، ولكنه زوال مجيد كما الشاعر يريد، زوال على ظهر قصيدة، يقول:[1]

طَـالَ دربـي.. وانْتَهـى زادِي لـه ومَضَـى عُمْـرِي علـى ظَهْـرِ قَصِـيدَه

هو انقضاء العمر كما يحس به أبو ريشة، وكما أفضى له اغترابه بذلك، لكنه يأبى أن يكون انقضاءً مألوفاً معروفاً، بل هو انقضاء استثنائي مختلف عن سواه، فوق مجد القصيدة، وفرس الشعر. ولئن وجدنا عند الشاعر بدوي الجبل للشيب أصفاداً، فإننا نجد عند عمر للشيب أكفاناً، فلم يبقَ سوى العجز بعد أن أسرع العمر بالرحيل، وبات الشيب يمثل لون الكفن الذي يطوله، يقول:[2]

تلـك البَقَايـا مـن نَعِـيمِ العُمْـرِ أَسْـرَعِتِ المُضِـيّا
العَجْـزُ فَـتَّ بسَـاعِدِي والشّـيبُ كَفّـنَ مَفْرَقَيّـا[3]

تجلّت لعمر أبو ريشة صورة الشيب الجديدة، وراح في غير موضع يرثي الشباب الذي رحل، راسماً صورةَ الحاضر الحزين، الذي انتشرت فيه أنفاس الاكتئاب، وشُلّت خُطا الزهو، وجُرِحَ الحُسن، يقول:[4]

مَـاتَ الشَّـبَابُ! فَمِـلءُ صَـدْرِ الأَرْضِ أَنْفَـاسُ اكْتِئَـابِ
فَـالزَّهْوُ مَشْـلُولُ الخُطـا والحُسْـنُ مجـروحُ الإهـابِ

على أنّ الشاعرَ لم يفقد الأملَ بما أصابَه، بل حرّكَ اغترابُه الزمانيُّ اغتراباً فنيّاً آخرَ أصابَه، في حالة تحدٍّ فريدة للشيبِ الذي ألمّ، وللتجاعيد التي بانت، وحين رأى الشاعرُ في المرآةِ ما لم يرَه من قبل، تعجّبَ من تغيّرِ المرآةِ لا تغيّرِه، واستنكرَ عليها خيانتَها بعد أن بقيت زمناً وهي وفية، يقول:[5]

وأَتَيْـتُ مِرْآتـي وعِطْـرِي فـي يَـدي فبصـرْتُ مـا لا كُنْـتُ فيهـا أُبْصِـرُ
فَخَفضـتُ طَرْفِـي ذاهـلاً مُتوجّعـاً ونَفَـرْتُ منهـا عَاتِبـاً أَسْـتَنكِرُ
خَانَـتْ عُهُـودَ مَحبّتـي فَتغيّـرَتْ مَـا كُنْـتُ أَحْسَـبُ أنّهـا تَتغيّـرُ

---

[1] أبو ريشة، ديوانه، ص141.

[2] المرجع نفسه، ص158.

[3] **فتَّ في ساعدِهِ**: أضعفَه وكسرَ قوّته. ابن منظور، اللسان: (فتت). **والمَفرق**: مواضعُ انفراقِ الشَّعر. اللسان: (فرق).

[4] أبو ريشة، **ديوانه**، ص311.

[5] المرجع نفسه، ص305

لعل الشاعر عمر أبو ريشة وجد تغيّر المرآة المجازي، هو التعبير الأخف وطأة عن التغيّر الحقيقي الذي طاله، والذي أراد مواجهته كما واجه انقضاء عمره إذ جعله انقضاءً استثنائياً.

وهكذا نجد أن عمر أبو ريشة في اغترابه الزماني الذاتي صوّرَ رحيل عمره، وانقضاء حياته، وموت شبابه، وتغيّر حاله، وأكفان شيبه، ولكنه في تصويره ذلك كان يجعل اغترابه الزماني استثنائياً، ولذلك عمد إلى إضافة جديدة على الصورة التقليدية المعروفة في تصوير الاغتراب الزماني.

2.2.2.2. الاغتراب الزماني الموضوعي:

ضمن سطوة الكبرياء التي تحيط عمر أبو ريشة لم يكن من السهل العثور على ملامح اغتراب زماني لذاته أو لموضوعاته، ومعظم ما جاء في شعره في ذلك السياق وردَ ضمن إحاطة الشاعر لتفاصيل الحياة التي تصيب المرء، إنّ عمر أبو ريشة يتحدّى على لسانِ فدائيٍّ كلّ اغتراب زماني بعيداً عن دنيا الشباب، بعيداً عن الربيع والفتوة والقوة، الربيع الذي يسأل عن عودته ويأبى أن يجيب، يقول:[1]

أَمْضِـــي ويُـــذْهِلُني طِلَابـــي عنّـــي، وعـــن دُنيـــا شَـــبَابي
أَمْضِـــي ويســـأَلُني الرَّبيـــعُ ولا أُجِيـــبُ متـــى إيـــابي؟

صوّر أبو ريشة ذلك الفدائيَّ وهو يتحدى الزمان، باتجاه هدفه بعيداً عن دنيا الشباب، مترفعاً عن حلم العودة إلى الوراء، ويبدو أنّ دلالة الربيع وهي ترمز إلى عهدٍ مضى من الجمال والشباب، عالقةٌ في تعبير الشاعر في موضعٍ آخر، وهو في مقام الرثاء، متسائلاً عن عودةِ ذلك الزمن الجميل، يقول:[2]

أَيَعـــودُ الرَّبيـــعُ يَنْقُـــلُ فَـــوقَ الأرضِ أقْـــدَامَ زَهْـــوةٍ وافْتِتـــانِ؟
ويَمُـــوجُ الَجمـــالُ أنّـــى هَفَـــا قَلْـــبٌ وأنّـــى تَلفَّتـــتْ مُقلتـــانِ[3]

ليعود لفظ "الربيع" دالّاً على ماضٍ بعيد، كأن الشاعر يتعمد الإكثار من ألفاظه أمام مشهد الاغتراب الزماني في محاولة فنية لمواجهة الواقع المؤلم.

ولم تكن صورة الأنثى الفتية الجميلة عند الشعراء هي ذاتها الأنثى الشابة عند عمر أبو ريشة، فهو يقّدم "عزاء" لأنثاه، التي طالتها يد الزمن، وغدا ذلك الجمالُ أثراً بعد عين، بعد أن مضى عهدُ الشباب، تلك الأنثى التي لم تكترث يوماً لشكاوى الشاعر، يصيبها اليوم ما أصابه، يقول:[1]

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص33.

[2] المرجع نفسه، ص57.

[3] **هفا القلب**: خفقَ واشتاقَ. ابن منظور، اللسان: (هفو).

أمَّـــا الصِّـــبا فلَقَـــدْ مـــرَّتْ لَياليـــهِ فابكْيـــهِ يـــا عِفّـــةَ الجِلْبـــابِ فابكيـــهِ
مَلَكْـتِ قَلْبَـكِ عـن روضِ الهـوى زَمنـاً واليـوم روضُ الهـوى غيضـت سـواقيهِ
واليـــومَ جِئْتُـــكِ لا صَـــبّاً ولا كَلِفَـــاً بـل للجَمـالِ الـذي يَـذوي.. أعزّيـهِ!

وهكذا نرى أن الاغتراب الزماني الموضوعي عند عمر أبو ريشة لا يبتعد عن اغترابه الذاتي، وقد يكون الموضـوعي جـزءاً مـن ذاتـه العميقـة، وقـد أسـقط ذلـك علـى مـا يحـيط بـه مـن ظـواهر الحيـاة القريبـة.

مقارنة ونتائج:

أولاً: الاغتراب الزماني الذاتي:

ألقى بدوي الجبل على عاتق الزمان ما مرّ به من تحوّلات كثيرة، فالزمان هو من يطوي النابغين، ويُبلي عهود الصِبا، ويطيح بالأهداف والمآرب، ويسلب الجمال والأحبةَ والشباب، وهو الذي يضع أصفاد الشيب التي تعيق الحركة وتعيق الحياة.

ويرى البحث أن الاغتراب الزماني الذاتي عند بدوي الجبل كانَ أقربَ إلى الاغتراب الوجداني النفسي، إذ هو يمثل حالة الحزن والأسى على ما فات، والقيد والسكون لما جاء وحلّ، إنه التفاصيل الوجدانية المتعددة، والذكرياتُ التي بكى الشاعر فيها شبابه الذي أراد له أن يحيا بقلبه حياة معنوية؛ ليعوّض بذلك ما فات منه، وما مات له، محاولاً بذلك أن يقهر اغترابه الزماني.

أما الاغتراب الزماني الذاتي عند عمر أبو ريشة فهو الاغتراب الزماني الذي يعترف به الشاعر، ويأسى له، ولكنه لا يريده أن يكون كسواه مما يصيب الشعراء، إنه يريده أن يكون اغتراباً استثنائياً، فيمضي العمر على ظهر قصيدة، إنه تغيّر المرآة وظلالها، وخيانتها لعهد قديم بينها وبين الشاعر، هكذا أراد عمر أبو ريشة أن يواجه اغترابه الزماني.

ثانياً: الاغتراب الزماني الموضوعي:

حمل بدوي الجبل في اغترابه الزماني الموضوعي الموقف ذاته من الزمان وتفاصيله، وهو الذي يتطلب المهادنة التي لا تفضي إلا إلى سنين خداعة، وهو الذي يمر بالأجيال فيبيدها لتصبح ماضياً راحلاً دون أثر. أسـقط بـدوي الجبـل اغترابـه الـذاتي علـى الاغـتراب الزمـاني الموضـوعي، فتـداخل الـذاتي بالموضـوعي، واتحـد الاغترابـان في صـورة اغـتراب واحـد، قـدّم فيـه بـدوي الجبـل أبياتـاً تعكـس أسـاه وحزنـه علـى مـا كـان. أما الاغتراب الزماني الموضوعي عند عمر أبو ريشة فلا يذهب بعيداً عما هو عليه عند بدوي الجبل؛ لأن

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص247.

الشاعر عمر يكاد يمزج الذاتي بالموضوعي، ولكنه يظل اغتراباً استثنائياً خاصاً، إنه ربيع الشباب حين يمضي متحدّياً بصمت، وغياب الصِبا ولياليه، ويكاد يتوقف الاغتراب الزماني الموضوعي عند أبو ريشة على هذا الحد، كما هو في الذاتي، فلا يحضر الاغتراب الزماني في شعره كثيراً كما حضرَ عند بدوي الجبل، ويقتصر بحضوره على هاتيك التفاصيل المرتبطة بالعمر والشباب والشيب.

كان بدوي الجبل في اغترابه الزماني عاطفياً، تجلت العاطفة في اغترابه، فبرز الحزن والفقدُ، أما الاغتراب الزماني عند عمر أبو ريشة، فأراد الشاعر أن يصنع منه استثناءً فنيّاً مختلفاً عن سواه، باحثاً عن تميّزه الخاص، بعيداً عن النموذج العام، ولذلك كان بدوي الجبل أقربَ للعاطفة منه إلى الفكر، بينما أراد أبو ريشة أن يكون مفكّراً متأملاً.

2.3. الاغتراب السياسي بين شعر بدوي الجبل وعمر أبو ريشة:

يعد النصف الأول من القرن العشرين الذي نشأ فيه الشاعران بدوي الجبل وعمر أبو ريشة المرحلةَ التي يمكن القول إنها شهدت ولادة الدولة السورية المعاصرة، وهي المرحلة التي شهدت تقلبات سياسية كثيرة وكبيرة، مرت فيها سوريا بتغيّرات جذرية في مفاصل زمنية معينة، ولعل دخول المستعمر الفرنسي إلى سوريا عام 1920م الحدث الأبرز الذي لعب دوراً مهماً في رسم شكل الحياة السياسية في سوريا؛ إذ خاضت البلاد نضالاً وطنياً في مرحلة ما، وهادنتْ في مرحلة أخرى، وتعددت صورة العلاقة بين الفرنسيين وبين السوريين من فئة لأخرى، ومن زمن لآخر، ثم شكّل الحكم الوطني في سوريا بداية لولادة الحكم السياسي السوري، وما إن جلا الفرنسيون عن سوريا، حتى بدأ صعود القوى السياسية السورية يتسارع شيئاً فشيئاً، وشرع التنافس السياسي بالظهور، فمرت البلاد بمراحل متعددة من الاستقرار أو عدمه، وشهدت البلاد انقلابات عسكرية متعددة في مرحلةٍ ما، كما شهدت استقراراً في مراحل أخرى.

ومن السهولة بمكان القول إن الشاعرين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة كانا في طليعة القوى السورية التي مارست العمل السياسي وكانت قريبةً من مركز التغيّرات السياسية غير المستقر، فقد تقلّد البدوي مناصب داخلية عديدة كما رأينا في سيرة حياته، نائباً في البرلمان أو وزيراً في الحكومة، وتقلّد عمر أبو ريشة مناصب خارجية تمثلت بالعمل الدبلوماسي سفيراً للبلاد، وقد عاين الشاعران كل تفاصيل التغيرات السياسية منذ نشوئهما وبداية حياتهما، لهذا فإن البحث يجد في شعرِ الرجلينَ صدًى كبيراً لمجمل الأحداث السياسية التي مرت في المنطقة، ولا شك أن الاغتراب السياسي كان مما لامس الشاعرين ومرَّ بهما كما سنجد.

ولعل الاغتراب السياسي الذي طال الشاعرين في حياتهما وتجلّى في شعرهما مما يوضح مسار الاغتراب العام الذي أصاب الشعر العربي عامة والسوري خاصة في القرن العشرين.

2.3.1. الاغتراب السياسي في شعر بدوي الجبل:

رأينا في دراسة حياة بدوي الجبل أنه بدأ حياته بالمعتقلات والسجون ثم التشرد والعمل السياسي والاغتراب خارج الوطن لأكثر من عشر سنوات بسبب مواقفه السياسية، ويمكن تقسيم الاغتراب السياسي الذي تجلى في شعر بدوي الجبل بحسب بواعثه وأسبابه إلى:

2.3.1.1. الاغتراب السياسي الوطني:

نُكِبت سوريا في شباب الشاعر بالاستعمار الفرنسي الذي دخلها عام 1920 وقسّمَها إلى دويلاتٍ على أساسٍ طائفيّ وجغرافيّ، جعلَ الشاعرَ يرى تمزّقَ بلدِه إلى كيانات، فكان من نصيبه أن كان ابنَ "جبلِ العلويين" بعيداً عن الشام التي يحبها والتي عاش فيها كما مرَّ في مبحثِ الاغتراب المكاني، فما انفكّ يرسلُ إليها شوقَه وحبَّه، ناقماً على من وقف في صفّ الفرنسيين ضدّ بلده، ولقد رمى الشاعرُ الطبقةَ السياسية التي وقفت مع الفرنسيين في ذلك المشروع الذي جعلَ الكلَّ أجزاءً، رماها بالخيانة، يقول:[1]

لـئَنْ خَـانَ عَهْـدُ الغُـوطَتَين عِصَـابةٌ ... رأَوا بـيعَهم رِبحـاً وألفيتُـهُ غَبْنـا[2]

ففِـي الجبـلِ النّـائِي لعُصْـبةِ جِلّـقٍ ... من القَوْمِ خِدْنٌ لم يَخُنْ في الهوى خِـــــــــــــــــــــــــــدْنا

يشيرُ الشاعر إلى الخديعة التي وقع بها السياسيون في قبول هذه التجزئة، ويشير كذلك إلى اغترابهِ بعيداً عن دمشق، وإلى مَن رضي في أن تكونَ الشامُ بعيدةً عن أخواتِها من المحافظات الأخرى. وظلَّ يناجيها زمناً، ولا سيما بعدما أحكمَ الفرنسيون القبضة عليها وقيّدوا نوابغَها ونخبها، ولا يكاد يفوّت الشاعرُ فرصةً للذَودِ عنها، مُظهراً توّجعَه لما حلَّ بها، يقول:[3]

أفْـدِي مُهَفْهَفَـةَ القَـوامِ أسـيرةً ... تَشكُو القُيـودَ فمَـنْ يفُـكُّ إسـارَها[4]

غلُّـوا الأسـودَ الصِّـيدَ مـن أبطالِهـا ... فـي الغُـوطتَين وحَجّبُـوا أقمارَهـا

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص659.

[2] **العِصابة**: الجمَاعة من الناس. ابن منظور، اللسان: (عصب). و**الغَبْن**: خديعة. اللسان: (غبن). و**الخِدن**: الصاحبُ والصديق. اللسان: (خدن).

[3] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص663.

[4] **المهفهفة**: ضَامِرُة الْبَطْنِ دَقِيقة الْخَصْرِ. ابن منظور، اللسان: (هفف). **والقَوام**: حُسن الطول والقامة. اللسان: (قوم).

وعام 1939م لجأ إلى بغداد هارباً من جَور الفرنسيين وقيودهم، نظم من هناك أبياته التي بثّ فيها اغترابه، وقد أظهرَ البحثُ كيف تجلّى اغترابُهُ المكاني في ذلك النص (دمعة على الشام)، إذ حنَّ الشاعر إلى الشام، وصوّرَ عُرسَها الذي سلبَ فرحتَه الفرنسيون الظالمون؛ إذْ نكثوا عهودَهم وخفروا الذمم، يقول:[1]

عُــرْسُ الشَّــآمِ طَغَــى عليــهِ ظــالمٌ فطَــوى البِسَــاطَ وحطّــمَ الأقْــدَاحا

ولم تكن الشامُ أفضلَ حالاً في نفس الشاعرِ بعد رحيل المستعمر الفرنسي، إذ تعاقَبَ على الحكمِ من قيّدَ الحرياتِ –كما يرى الشاعر– وتسلّط الحاكمون وكثرت الانقلابات العسكرية، وحوصرت العقول والأفهام، فتجدّدَ اغترابُ الشاعر السياسي ثانيةً، فكتب في عام 1950 يقول:[2]

بِدْعَــةُ الــذلِّ حــين لا يــذكرُ الإنــ ســانُ فــي الشَّــامِ أنّــهُ إنْسَــانُ
يــا لَهــا دولــةً تُعاقَــبُ فيهــا كالجُنــاةِ العُقُــولُ والأذْهَــانُ

وهنا يشعر البدوي باغترابه السياسي في ظل نظام الحكم الذي يُعاقب العقول والأذهان كأنها مجرمة، وبات يصوّر مستهزئاً الحكومةَ ووزراءها الذين لهم تُرصّع التيجان، وإن كانوا لا يدومون في منصب أو في مقام بسبب ما تعانيه البلاد من سرعة التحولات والتغيرات، يقول:[3]

يــا وَزِيــراً يُطِــلُّ بَعْــدَ وَزِيــرٍ والعُلَــى فــي رِكَابِــهِ والزّمــانُ[4]
لَكُــمُ لا لقَيْصَــرٍ أو لكســرى رُصِّــعَ التّــاجُ وازدَهَــى الإيــوانُ[5]
وكَفَــى هــذهِ الرَّعيــةَ عِــزّاً أنّهــا فــي رِحَــابِكُم ضِــيفَانُ[6]

يرى الشاعر أنّ الناسَ أصبحوا ضيوفاً على الوزراء والحاكمين، في صورة شعرية تعكس اغتراباً سياسياً شكّلتْهُ مجمل الظروف التي عانت منها البلاد، وقاساها الشاعر بدوي الجبل، لا سيما أنه كان نائباً في البرلمان في مرحلة ما ثم وزيراً في الحكومة، فكان ممن عني بأمور البلاد وأحوالها السياسية وتقلباتها.

تنوّعت صور الاغتراب السياسي الوطني عند بدوي الجبل، فكان من بواعثها صورة الحاكم الظالم مَنْ شكلتْ صورته نمطية الاغتراب السياسي المعهود، باختيار الحاكم لحاشيته التي تجيد ظُلمَ الناس والتضييق

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص96.

[2] المرجع نفسه، ص120.

[3] المرجع نفسه، ص124.

[4] **الرِكاب**: حَلْقةٌ من حديد مُعلَّقة بالسَّرج يضعُ فيها الفارس رِجْلَه. ابن منظور، اللسان: (ركب).

[5] **رصّعَ**: حلّاهُ بالجواهر. اللسان: (رصع). **والإيوانُ**: المجلسُ الضخمُ لكِبار القَوم. اللسان: (أون).

[6] **ضِيفان**: جَمعُ (ضَيف). اللسان: (ضيف).

عليهم. وحين قامت الوحدة بين سوريا ومصر عام 1958م كان الشاعر آنذاك خارج البلاد، مضطراً للعيش بعيداً عن بلاده بسبب أنظمة الحكم المتعاقبة، ويبدو أن البدوي حمل موقفاً معادياً لتفاصيل مشروع الوحدة ذاك، مُعارضَاً سلطةَ الرئيس جمال عبد الناصر، وقد وردَ في ديوانه نصّان، الأول بعنوان (كافور)، والثاني بعنوان (فرعون)، يُرجّح البحث أنهما يصوران موقف الشاعر من الرئيس جمال عبد الناصر، لا سيما أن ثمة رمزية لشخصية كافور المصرية، وكذلك فرعون حاكم مصر القديم.

يصوّر الشاعرُ ممارساتِ الحاكمِ وحاشيتِه، مستعيراً لصورة الحاكم رمزيةَ حكّامِ مصرَ فيما مضى، كشخصية "كافور" التي استحضرها الشاعر وسمّى نصَّه الأدبي بها، وهو العبدُ الذي تألهَ على الجماهير -كما يصوّر-، وهو الحريص على جمع من يجيد الحقد والقتل والإهانة، أولئك الذين شبّههم الشاعر بالدمى، يقول:[1]

حَـــرِّكْ دُمَـــاكَ فـــإنْ أَرَدتَ قسَـــوا وإنْ آثَـــرْتَ لانُـــوا
الخاضـــعونَ لمـــا تَشَـــاءُ ومـــا دَرَوْهُ ومـــا اســـتبانُوا
النـــاعمونَ علـــى اليهـــودِ، علـــى رَعيَّتِـــكَ الخِشَـــانُ
للعَـــفِّ تخـــوينٌ بـــدَوْلتِهم وللـــصِّ ائتِمَـــانُ

فالشاعر ينقم على حاشية الحاكم التي تنفّذ ما يريد الحاكم فحسب، وليس لها دور إصلاحي، سوى أنها تخضع لمشيئة الحاكم، وهم الناعمون على اليهود، القساةُ الخِشانُ على الشعب والرعية، "يخُّون عندهم الأمين، ويؤتَمَنُ اللصُّ الخائن"[2].

طغت فردية الحاكم المستبد، ذلك الحاكم الذي لم يُعنَ بشؤون الرعية، أو حياتهم أو كرامتهم، بل ذهب الشاعر بسخريته من نهج الحكم إلى السخرية من خُطَبَ الحاكم التي شبهها بأنها الخبزُ للجياع، وهي الكرامة والضمان للناس، وأنّ فصاحتَه مدعاةُ استهزاء وسخرية، وهي إشارة إلى جهل الحاكم وضعةِ علمه، يقول:[3]

خُطَـــبُ الـــرئيسِ هـــي الكرامـــةُ والعُلـــى وهـــي الضَّـــمانُ
هـــــي للجيـــــاعِ الطيّبـــــاتُ وللعُـــــراةِ الطَّيْلَسَـــــانُ[4]
الحـــنْ وكـــرّرْ مـــا تشـــاءُ فإنّهـــا الخُطـــبُ الحِســـانُ

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص169.

[2] إشارة إلى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام في شأن الرويبضة.

[3] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص170.

[4] **الطَّيلسان**: كساء أخضر يضعه بعض العلماء والمشايخ على الكتف. ابن منظور، اللسان: (طلس).

ومما زاد اغتراب الشاعر وألمه أنّ كل ممارسات الحاكمين الظالمين قوبلت بصمتِ الناسِ عنها، ولم تستطع كل عوامل التمرّد الداعية إلى عدم القَبول بالوضع البائس، صُنعَ روحِ الثورة لدى الناس مثل الفقر والسجن والتعذيب والاستباحة والظلم، كلّ ذلك مما فعلَه الحاكم وظلّ الناس -بحسب تعبير الشاعر- عبيداً، يقول:[1]

نَحْـــنُ العَبِيـــدُ فَـــلا تُحرِّكُنـــا الضَّـــغِينَةُ واللِّعَـــانُ[2]
لا الفَقْـــرُ يُلْهِـــبُ فـــي جوانحِنـــا الإبـــاءَ ولا الهـــوانُ[3]
فاسْـــجُنْ وعـــذّبْ واســـتبْحْ حُرُماتِنـــا ولـــك الأمـــانُ
والظُّلْـــمُ مـــن طَبْـــعِ الَجبَـــانِ وكـــلُّ طاغيـــةٍ جَبَـــانُ

ولم تكن صورة "كافور" وحدها المستحضرة لرمزية الحاكم الظالم، بل ذهبَ البدوي في غير موضع إلى استحضار صورة "فرعون"، مبشّراً بعودة فرعونَ الذي يسوم الناس ألوان العذاب والتنكيل، ولعل صورة فرعون الأول أخفُّ وطأة في ظلمها لدى الشاعر من صورة الحاكم الجديد، بل إنَّ اليهودَ الذين ذلّوا في عهد فرعون الأوّل ينعمون برغد العيش في عهد فرعون الثاني العائد، يقول:[4]

سُـــمّيتَ فرعـــونَ الكِنانـــةِ وهـــي تســـميةٌ كَنـــودُ[5]
فرعـــونُ ذلَّ بـــه اليهـــودُ وأنـــتَ عـــزَّ بـــكَ اليهـــودُ!!

كانت صورة الحاكم المستبد الظالم من بواعث الاغتراب السياسي في نفس بدوي الجبل، مستحضراً لذلك أبشع ألوان الحكم، مثل "فرعون" و"كافور" وصورة الصّنم المعبود، وهي إشارة إلى ضعف الناس وجهلهم واتخاذ الحاكم معبوداً لهم، ولكنّ روح التحدي والتنوير لم تفارق الشاعر رغم ذلك كلّه، يقول:[6]

يســـومُنا الصَّـــنمُ الطَّـــاغي عِبادتَـــهُ لـــن تعبـــدَ الشّـــامُ إلا الواحـــدَ الأحـــدا
تفَـــنّنَ الصّـــنمُ الطـــاغي فـــألفُ أذىً وألـــفُ لـــونٍ مـــن البلـــوى وألـــفُ رَدى

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص172.

[2] **الضّغينة**: الحقدُ. اللسان: (ضغن). و**اللِّعان**: أن يلعنَ كلُّ طرفٍ الآخر. اللسان: (لعن).

[3] **الجوانح**: جمع (جانحة)، وهي الضلع القصيرةُ مما يلي الصّدر. اللسان: (جنح).

[4] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص183.

[5] **الكنانة**: أرضُ مصر. و**كنود**: جاحدة. ابن منظور، اللسان: (كند).

[6] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص206.

بلغ الاغتراب السياسي ذروتَه في ديوان البدوي إزاء ما يفعله الحاكم الطاغي الذي أجاد التفنن في الأذى وألوان الموت التي حكم بها الناس. ولذلك لم يكن للشعب أن يحزن على القادة والجيوش التي هُزمت في نكبة فلسطين 1948 أمام الصهاينة، ولم تتحرك الجماهير لما حلّ وحصل، لأن أنظمة الحكم القاسية المتجبرة جعلت الناس يفرحون لهزائمها أمام العدو، يقول:[1]

جَـــبُنَ القَـــادَةُ الكِبَـــارُ وفَـــرُّوا وبكـــى للفِـــرارِ جَـــيْشٌ جَسُـــورُ
هُـــزمَ الحـــاكمونَ والشـــعبُ فـــي الأصـــفادِ، فـــالحكمُ وحـــدَه المكســـورُ
هُـزمَ الحـاكمونَ، لـم يحـزن الشّـعبُ علـــــيهم ولا انتخَـــــى الُجمْهُـــــورُ

رأى الشاعرُ في نكبة عام 1948م هزيمة للحاكمين الذين لم يعدوا عدتهم لعدوهم، وإنما طغوا في حكم الشعب وقيدوه في الأصفاد، وأنّ خوف القادة والجيش كان من أسباب الهزيمة، وأن التفاوت الطبقي ومستوى المعيشة تقف وراءه أنظمة الحكم التي جعلت الناس أسرى وعبيداً، يقول:[2]

نحـنُ أسَـرى، وحـين ضِـيْمَ حِمانـا كـادَ يقضـي مـن حزنِـهِ المأسـورُ
كـــلُّ فـــردٍ مـــن الرعيّـــةِ عبـــدٌ ومـــن الحُكـــمِ كُـــلُّ فـــردٍ أميـــرُ

وهكذا تتبين صور عديدة للاغتراب السياسي الوطني، تكشفت فيها ألوان المعاناة السياسية التي عاناها الشاعر في ظل الانتداب الفرنسي وبعدَه من انقلابات سياسية وتفرد بالحُكم وحكومات ترهق الناس وتستعبدهم.

وعلى النقيض من تلك الصورة، نرى الشاعر الذي مارس ألوان العمل السياسي وكان من كبار الشخصيات السياسية في مفاصل زمنية مختلفة، يستأنسُ بصورةِ أصحابِه من المناضلين الوطنيين الذين هم في نظره أبطال ٌفي الحرب والسلام، إنّه حين يرثي صاحبه سعد الله الجابري[3] يستحضر صورته الوثابة بالقوة والنضال، ويراه خطيباً يهز المنابر ويحشد القوة والبأس على عكس صورة كافور التي رأيناها، يقول:[4]

مَـــنْ كَسَـــعدٍ وللنـــديِّ احْتِـــدَامٌ جَمْـــرةُ الَحـــرْبِ عُنفَوانـــاً ووَقْـــدَا[5]
مَـــن يَهـــزُّ النَـــدِيَّ بعـــدَكَ بالخُطبـــةِ عَصْـــمَاءَ تحشُـــدُ البـــأسَ حَشْـــدا

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص230.
[2] المرجع نفسه، ص239.
[3] سبقت ترجمته، ص23.
[4] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص275
[5] **النديّ**: يقصد به الشاعر مجلسَ النّوّاب.

2.3.1.2. الاغتراب السياسي القومي:

لم يكن الاغتراب السياسي الوطني وحده ما طال الشاعر، فقد عاش الشاعر البدوي اغتراباً سياسيّاً آخرَ منذ "بواكيره" الأولى، وهو الذي عُنِيَ بشؤون بلاده وأمته، وكان ذا توجّهٍ عروبي بارز تجلى واضحاً في شعرِه، إنه وهو يرثي المنفلوطي المصري[1] والألوسي العراقي[2]، وهو الشاعر السوري ابنُ الواحدِ والعشرين عاماً، تراه يحملُ همَّ أمّتهِ وحلمَ الوحدةِ والقوة، بين بردى ودجلة والنيل، متألّماً للحال التي عليها تلك البلاد، يقول:[3]

يـا لَلْعُروبـةِ أيـنَ نُـورُ نُبوغِهـا؟! الزَّيـتُ جَـفَّ وأُطْفِـئَ القِنـدِيلُ
بَغْـدادُ شـاكيةٌ ومصـرُ مُرِنَّـةٌ والشَّـامُ حَاسِـرةُ القِنَـاعِ ثَكُـولُ[4]
تِلْـكَ الأقـانِيمُ الثلاثـةُ واحَـدٌ بَـردَى الشّـآمِ ودِجْلَـةٌ والنِّيـلُ[5]

يبحث الشاعر عن نور العروبة الذي انطفأ، والشاعر منذ نشأته وهو يحملُ في نفسِه همَّ العروبةِ الضائعة، ويبحث عن الخلاص من الواقع السياسي الصّعب، ويرى أنّ السياسة هي المسؤولة عن قتلِ السلام والحياة الكريمة، معلناً جزعَه من "دين السياسة" إذ يصف السلام بالقتيل، مطعوناً بأطماع السياسة التي تقوم على القوّة والحرب، ولذلك يُشبّهها بالغول غير القادر على صنع السلام، يقول:[6]

طَعَنَتْـهُ أَطْمَـاعُ السِّياسـةِ طَعْنَـةً نَفَـذتْ فَـراحَ السِّـلْمُ وهـوَ قَتِيـلُ
ولقَـدْ جَزِعْـتُ مـن السّياسـة، إنّهـا غُـوْلٌ وهـلْ تَلِـدُ السَّـلامةَ غُـوْلُ؟[7]
دِيـنُ السياسـةِ، جـاءَ فيـه مبشّـراً بالمشـرِقَين: الجـيشُ والأسـطولُ

إن الوضع الذي تمر به أمّة العرب، استدعى في نفس الشاعر حسرةً لما آلت إليه حال الأمة وقد أصبحت مسلوبة الإرادة والحياة، الأمة التي يرى فيها الشاعر أحلامه ومستقبله، وهو يستنكر ما حلّ بجزيرة

---

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي، أديب مصري، له مطبوعات في الأدب والترجمة، ولد في مدينة منفلوط المصرية عام 1876م، وتوفي عام 1924م.

[2] محمود شكري الألوسي، من علماء العراق في الأدب والتاريخ، ولد في بغداد عام 1856م، وتوفي عام 1924م.

[3] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص645.

[4] **مُرِنّة**: حزينة. ابن منظور، اللسان: (مرن). **حاسرة القناع**: مكشوفة الرأس. **اللسان**: (**حسر**). **ثكول**: المرأة الثكلى التي فقدَت ولدَها. اللسان: (ثكل).

[5] الأقانيم: جمع (أُقْنوم)، وهو الجوهر والأصل. اللسان: (قنم).

[6] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص646.

[7] **الغُول**: الدّاهية والمنيّة، وقيل: شيطان يُضّلل الإنسان في الفلوات ويُهلكه. اللسان: (غول).

العرب من اتفاقيات حماية دولية شكلت وصايةً على الجزيرة، فقدت إثرها السيادة وأصبحت مرتهنةً للأجنبي، يقول في قصيدته (على أطلال الجزيرة) عام 1924م:[1]

مـا للجزيـرةِ لا تفيـقُ مـن الكَـرَى؟ طَلَـعَ الصّـباحُ فنبّهـي آسـادَها
مَـلَّ الشـعوبُ مـن الرّقـادِ وبكّـروا للطيبـاتِ فهـل تَمَـلُّ رُقادَهـا؟
بنـتُ الغـزاةِ الفـاتحينَ تحكّمـتْ فيهـا العُـداةُ وأَحْكَمَـتْ أصْـفَادَها

أرادَ الشاعر من نفحات النسيم أن تذكّرَ شجعانَ الجزيرة طلوعَ الصباح وبزوغَ الفجر المرتقب، فقد ملت الشعوب التقاعس والخمول، وتحكّم العدوّ بالجزيرة وهي بنت الفاتحين الأمجاد.

وظلَّ وضعُ الجزيرة العربية يحرّك في الشاعر بواعثَ اغترابه من حين لآخر، وفي مناسباتٍ عديدة، فعندما وقف أمام جمعية الشباب العربي في بيروت عام 1924م، خاطبَ الشبابَ العربي وتحدّثَ إليه عن الرايات المنكّسةِ في جزيرة العرب، وعن حزنه عليها، صارخاً بضياع الوطن الذي تشتتَ باختلاف الأديان والحكّام واللغات، ولم يعد الوطنَ الواحد الذي كان، يقول:[2]

تـاجُ الجزيـرةِ وهـي مهـدُ جـدودكم نـزلَ القضـاءُ فنُكِّسَـتْ راياتُـهُ
إنّـي لتُبكينـي الجزيـرةُ مـا ونـى عنهـا العـدوُّ ولا وَنَـتْ غاراتُـهُ[3]
واضـيعةَ الـوطنِ الصّـغيرِ، تعـدّدتْ أديانُـهُ وعروشُـهُ ولغاتُـهُ

بكى بدوي الجبل حال الوطن العربي كله، بعد أن استولى عليه الغاصبون، وبات خريطة لهم، يتقاسمون عليها نفوذهم واتفاقياتهم، فحنَّ إلى عهدِ المجدِ الأوّل، عهدِ الفتوحات والنصر، بعد أن غدت الثارات عطشى تبحث عن نصرٍ يَبلُّ صداها، يقول:[4]

ثـاراتُ يَعـرُبَ ظَمْـأى فـي مَراقِـدِها تجاوزتْهـا سُـقاةُ الحـيِّ نسـيانا[5]
لا خالـدُ الفـتحِ يغـزو الـرومَ منتصـراً ولا المُثنّـى علـى رايـاتِ شَـيبانا[6]

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص652.

[2] المرجع نفسه، ص678.

[3] **ونَى**: تركَ وأهملَ. ابن منظور، اللسان: (وني).

[4] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص86.

[5] **يعرب**: اسم جد عربي قديم. اللسان: (عرب).

[6] خالد بن الوليد وهو قائد مسلم مشهور. والمثنى بن حارث الشيباني من قادة الفتح الإسلامي.

يستعيد الشاعر رمزية القادة الأوائل كـ "خالد بن الوليد" الذي انتصرَ في معركة اليرموك على الروم، وكأنَّه يبحثُ عن نصرٍ آخرَ على الروم، فلا يجدُ خالداً آخرَ. ويبحث عن نصر على الفرس فلا يجد المثنى بن المغيرة لقادسيةٍ جديدة.

ولعلَّ حرص الشاعر على استحضار رمزية المجد القديم كان في محاولة لمواجهة اغترابه الجديد عن كلّ نصرٍ أو إنجاز، إنّه حتى في قصائد الفخر والفرح، يستعيد صورة خالد بن الوليد، متحدثاً عن ثأر فلسطين المنتظر، ذلك الثأر الذي لم يُقيّضْ له خالدٌ، ولم يسعَ إليه الأمراء والحُكّام، يقول:[1]

يـــا فِلســـطينُ هـــوىً مُســـتعرٌ ... مـــن ربـــى الشّـــامِ ونصـــرٌ وولاءْ
أيـــنَ مـــن ثـــأركِ والثـــأرُ دمٌ ... خالـــدُ الفـــتحِ وأيـــن الأمـــراءْ
اليهـــودُ استأســـدوا فيـــكِ فمَـــن ... جـــرّأ الضّـــعفَ وأشْـــلَى الضـــعفاءْ

وهكذا يرى البحث أن الشاعر بدوي الجبل امتد اغترابه السياسي خارج جغرافيا بلده سوريا، ليشمل اغترابه العروبي القومي، حزيناً على ما يحل في بلاد العرب في العراق ومصر والجزيرة وفلسطين.

2.3.1.3. الاغتراب السياسي العالمي:

إن الظروف والأحداث التاريخية في بدايات القرن العشرين، وما أفضى إلى انتداب تلو آخر تأخذ بموجبه الدول القوية حقوقَ غيرِها، وتسلب شعوباً وحضاراتٍ ليست لها، كان مما جعلَ دائرةَ الاغتراب السياسي للشاعر بدوي الجبل تتوسّع، فبدا ناقماً على قوانين العالم الذي سمح للأمم القوية أن تفعل ما تشاء، على حساب الأمم الضعيفة، يقول:[2]

لا تكـــذبُ الأمـــمُ القويّـــةُ إنّهـــا ... باســـمِ الحضـــارةِ ثقّفَـــت خَطّارَهـــا[3]
ولتهنـــأ الأمـــمُ القويّـــةُ إنّهـــا ... قـــد أدركـــتْ ممـــن تُخـــادعُ ثارَهـــا
قالـــتْ: لقـــد بلّغـــتُكم أوطـــاركم ... وهـــي التـــي بلَغـــت بنـــا أوطارَهـــا[4]

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص107.

[2] المرجع نفسه، ص666.

[3] **ثقّفت خَطّارَها**: جهّزَتْ أسلحتَها.

[4] **الأوطار**: جمع وَطَر، وهو المأربُ والحاجة. ابن منظور، اللسان: (وطر).

ورأى الشاعر أن عصبة الأمم مجموعة من الظالمينَ المغتصبين، ولذلك حذّرها من بأس الضعيف وصولة الأعارب، فقد أوشكوا أن يستلوا سيوفهم من أغمادها دفاعاً عن حقوقهم فقال:[1]

يـا عُصـبةَ الأمـم القويـةِ حـاذري بـأسَ الضِّـعافِ وحزمَهـا وكِيادَهـا
لا تـأمني بـأسَ الأعـاربِ إنهـم كـادَت تفـارقُ بيضُـهم أغمادَهـا

وحين حلّت نكسة فلسطين أو نكسة العرب عام 1967م، حمّلَ الشاعرُ هيئة الأمم المتحدة مسؤولية ذلك، فهي التي تمعن في الذنب، وهي سبب تهجير الناس وتغريبهم، بقوانينها التي لا تحمي الضعفاء، ودساتيرها التي أصبحت مثار سخرية، يقول:[2]

هيئـةٌ للشـعوبِ تُمعِـنُ فـي الـذّنْبِ ولا توبـــــــةٌ ولا تكفيـــــــرُ
مـــن قوانينِهـــا المـــداراةُ للظُّلْـــمِ ومنهـــا التغريـــبُ والتهجيـــرُ
ويُقـامُ الدسـتورُ أضـحوكة السـاخرِ منّـــــا ويُـــــوأدُ الدُّســـــتُورُ

سخرَ بدوي الجبل من هيئة الأمم المتحدة التي بدل أن تدافع عن الناس صارت تغرّبهم وتهجّرهم وتحكي في شأن الدساتير التي تثير السخرية، وهي تولد ميتةً. ولا يتوقف البدوي عند ذلك الحد؛ إذ بلغ التصوير الشعري عنده أنْ شبّه هيئة الأمم المتحدة بـ "سوق الرقيق" الذي طغى فيه حاكموه واستبدوا، أولئك الذين يبيعون الشعوب كما تباع الجواري، يقول:[3]

ضـجَّ سـوقُ الرقيـقِ فـي نـدوةِ القَـوْ مِ ونخّاسُـــهُ طغـــى واســـتبدا[4]
يعرِضـون الشـعوبَ عـرض الجـواري عُرّيَـــت للعيـــونِ نحـــراً ونهـــدا

ويـرى البحـث أن الاغـتراب السياسـي عنـد بـدوي الجبـل دخـل في تصـنيفات ثلاثـة: أولها الاغتراب السياسي الوطني، وهو ما أصاب الشاعر إزاء الحالة السياسية في سوريا، وثانيها الاغتراب السياسي القومي، وهو الأسى والحزن الذي تبدّى في شعره بشأن الأمة العربية والمشروع القومي العربي الذي تطلّع الشاعر إليه، وثالثها الاغتراب السياسي العالمي وهو الموقف السلبي من السياسة العالمية التي ولّدت في

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص654.
[2] المرجع نفسه، ص237.
[3] المرجع نفسه، ص282.
[4] **النخّاس**: بائع العبيد. ابن منظر، اللسان: (نخس).

نفسه اغتراباً آخر بسبب مواقفها التي لا تنصف الشعوب الضعيفة، ولا تقف مع مبادئ حقوق الإنسان التي قامت لأجلها.

2.3.2. الاغتراب السياسي في شعر عمر أبو ريشة:

خاض عمر أبو ريشة غمار العمل الوطني ومارس التجربة السياسية سفيراً لسوريا في بلاد العالم، وكان قبل ذلك من الناقمين على المستعمر الفرنسي، وقد عمل لأكثر من عشرين سنة في السلك السياسي، كما عايش مراحل الانتداب الفرنسي، وهذا ما يستدعي القول: إن عمر أبو ريشة عاش الظروف السياسية والتاريخية ذاتها التي عاشها بدوي الجبل، وسيعرض البحث العلاقة بين الشاعر عمر أبو ريشة والاغتراب السياسي الذي مر به على مراحل زمنية مختلفة ومستويات متعددة.

2.3.2.1. الاغتراب السياسي الوطني:

وبالرغم من أن عمر أبو ريشة مثّل بلدَه لسنواتٍ طويلة، فإنَّ القارئ لا يجد في شعره صدى الانتماء إلى بلده فحسب، بمقدار ما يجد فيه انتماءً أوسعَ إلى وطن أكبر.

عاش عمر أبو ريشة آلامَ بلده، وتفاعل مع أحداثها، وشكّلَ احتلالُ الفرنسيين لها حالةً من الأسى لديه، فتأمّلها متحسّراً على ما حلَّ بها، وكيف أمست كلّ تفاصيلها حزينة مظلمة بسبب العبوديات والقيود التي تركت آثارَها، يقول:[1]

يـــا بـــلادي، وأنـــتِ نَهْلـــةُ ظَمْـــآ ... نٍ وشَـــبّابَةٌ علـــى فَـــمِ شَـــاعرْ[2]

كيـفَ مَالـتْ بـك الليـالي وألْـوَتْ ... بالبقايـا مـن العُهـودِ الغَـوابِرْ؟![3]

لا مَغانيـــكِ حُـــرّةٌ يـــرقصُ الأُنْـــ ... ـــسُ عليهـــا ولا الرّوابـــي زَواهِـــرْ

ورُســـومُ الأقـــدامِ تَبْكـــي العُبوديـــا ... تُ فيهـــا وتَسْـــتَثيرُ المشَـــاعِرْ

يحزن الشاعر لمغاني بلده المقيدة، ولروابيها التي لم تزهر، بعد أن فقدت حريتها واستقلالها وسيادتها. وما إن جلا المستعمر عن أرض بلده حتى استعاد الشاعر قيثارة حبه، وشدا يغني لبلاده، ولكنه ظل يستذكر

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص111.

[2] **النَّهْلة**: السَّقيةُ الواحدة. ابن منظور، اللسان: (نهل). **شبّابة**: مزمار من القصب. اللسان: (شبب).

[3] **الغوابِر**: جمع (غابر)، وهو الذّاهب. اللسان: (غبر).

آلامه التي أصابته، والسنين التي مرت عليه، وتنقّله من عاثرٍ إلى آخرَ ومن سيفٍ ينبو إلى جواد يكبو، يقول:[1]

كـم لنـا مـن ميسـلونٍ نفضَـتْ عـن جناحَيهـا غُبَـارَ التَّعَـبِ
كـم نَبَـتْ أسـيافُنا فـي ملعـبٍ وكَبَـتْ أجيادُنـا فـي مَلْعَـبِ[2]
مـن نضـالٍ عـاثرٍ مْصْـطَخبٍ لنضَـالٍ عـاثِرٍ مُصْـطَخِبِ[3]

وشكّلت **صورة الحاكم الظالم** عند عمر أبو ريشة باعثاً من بواعث الاغتراب السياسي، وهي نفس الصورة "الصنمية" التي رآها بدوي الجبل قَبلاً، لكنها صورة تقوم على تناولٍ جديد، وتجربة أخرى تُنبئ باغترابٍ من نوع آخر يطول الشاعر عمر أبو ريشة، إنّه يعاتب أمّته التي مجّدت بعض الأصنام في حين لم تحمل تلك الأصنام "طُهرَ الحجارة"، ويرى الشاعر أنّ المسؤولية يتحملها الطرفان، الشعبُ الذي وثق بالحاكم، والحاكم الذي تخلّى عن دوره، يقول:[4]

أمّتـي! كـم صَـنَمٍ مجدّتِـهِ لـم يكـن يحمـلُ طُهـرَ الصّـنمِ
لا يُـلامُ الـذّئبُ فـي عدوانِـهِ إنْ يـكُ الراعـي عـدوَّ الغـنمِ

لم يكن للذئبِ أن يلام على اعتدائه إذا كان الراعي ذاته عدوّاً للغنم، أراد أبو ريشة بهذا التشبيه الضمني أن يقدّم مثالاً بليغاً لطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم آنذاك وما يجري على البلاد من تدخّلات.

ويرى عمر أبو ريشة بَوناً كبيراً بين قائد اليوم وقائد الأمس، ولم تكن صورةُ الحاكم الطاغية صورةً واحدةً في تحميله مسؤوليةَ الشعب فحسب، بل حمّلَه عمر أبو ريشة مسؤوليةَ استجرار الأجنبي واحتلال بلادنا باسم الدفاع عن حُريّة الشعوب، وذلك حينَ قدّمَ الحاكم الطاغيةُ الأسبابَ التي يتشّهاها الأجنبيّ، يقول:[5]

مـا لأبنـاءِ السَّـبايا رَكِبُـوا للأمـاني البِـيضِ أشْـهَى مَرْكَـبِ؟[6]
ومَتـى هَـزُّوا عَلَينـا رَايـةً مـا انطـوت بـين رَخِـيصِ السَّـلَبِ[1]

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص64.

[2] **نبا السيفُ**: لم يُصِبْ ولم يقطَعْ. ابن منظور، اللسان: (نبو). **كبا الجواد**: أخفقَ وفَشِل. اللسان: (كبو).

[3] **مُصطَخِب**: مُختَلِط وغيرُ منظّم، و**الاصطخاب**: التضاربُ والتّصايح. اللسان: (صخب).

[4] أبو ريشة، **ديوانه**، ص24.

[5] المرجعُ نفسُه، ص65.

[6] **السّبايا**: جمعُ سبيّة، وهي المرأة المأسورة. ابن منظور، اللسان: (سبي).

ومَــنِ الطَّــاغِي الــذي مَــدَّ لَهــم مــن سَــرابِ الحــقِّ أشْــهَى سَــبِبِ؟!

على أنّ الشاعرَ يُحمّلُ الشعوبَ مسؤوليةَ نكبتها ونكستها، وويل لها إذا قَبِلَت بأمثالِ هؤلاء من الحكّام، إنّ تحريضَ الشاعرِ الشعوبَ على حكّامِها جاء من باعثِ حرصِهِ على ممارسة دور التوعيةِ وإسقاط الضوء على النخب السياسية الحاكمة التي آثرت مصالحَها على مصالح الشعوب، وعلى الكرامة والكبرياء، يتوعد الشاعر تلك الشعوب التي رضيت بذلك، يقول:[2]

فتلــك راياتُنــا خَجْلَــى مُنكَّســةً فــأين مــن دونهــا تلــك الصــناديدُ؟[3]

يــا للشُّــعوب التــي قــادَت أزِمَّتهــا علــى الليــالي، عبابيــدٌ رعاديــدُ[4]

والشاعر لا ينفك يحمّلُ الشعب مسؤولية اختيار حاكميه، الذي آثروا حياتَهم على حياة شعوبهم، ويرى عمر أبو ريشة أنّ ارتقاب الشعب صلاحَه في شخصيات الحُكام كان الخطأ الكبير الذي دفع الشعبُ ثمنَه، يقول:[5]

يــا شَــعبُ لا تَشْــكُ الشَّــقَاءْ ولا تُطِــلْ فيــهِ نُواحَــكْ

أنــتَ انتقَيْــتَ رِجــالَ أمْــرِكَ وارتقَبْــتَ بهــم صَــلاحَكْ

فــإذا بهــم يُرخــونَ فــوقَ خَسِــيسِ دُنيــاهم وِشَــاحَكْ

لَهْفِــي عليــكَ أهكــذا تَطْــوي علــى ذُلٍّ جناحَــكْ؟!

ظهرت صورة الشعب الضعيف في شعر عمر أبو ريشة، كما ظهر نقيضها من قوة الحاكم وتماديه، وبدا الشعبُ الضعيفُ ضحيّةً أمام قسوة الحكّام، وإن كان هذا الشعب ذا ماض عريق ومجد عميق، يقول:[6]

إنَّ الضــعيفَ علــى عريــقِ فَخــارِهِ حَمــلٌ يشــدُّ بعنقِــهِ جــزّارُ

ولعل صورة الجزّار الذي يتخذ الشعبَ ضحيةً تكررت في شعر عمر أبو ريشة، يقول في ذم الحالة التي وصلَ إليها الشعب بالانقياد والخضوع للحكّام:[7]

---

[1] **السَّلب**: انتزاع الشيء من غير وجه حق. اللسان: (سلب).

[2] أبو ريشة، **ديوانه**، ص42

[3] **الصّناديد**: جمع صِنديد، وهو الشريف الشجاع. اللسان: (صند).

[4] **عبابيد**: متفرقون. اللسان: (عبد). **رعاديد**: جمعُ رِعديد، وهو الجبان. اللسان: (رعد).

[5] أبو ريشة، **ديوانه**، ص43

[6] المرجع نفسه، ص74

[7] المرجع نفسه، ص86

أيُّ شعبٍ يعطي السلاحَ إلى الباغي ويشكو من وخزِ ذاك السّلاحِ
قد يعفُّ الجزّارُ لو لم تُمزَّغْ تحت أقدامِهِ رقابُ الأضاحي

إن انقياد الشعب وتقديمه رقبته إلى الحاكم الجزار هو ما شجّع الجزار أن ينحره ويتخذ منه أضحية.

وهكذا يتضح أن الاغتراب السياسي الوطني لدى الشاعر عمر أبو ريشة تجلى من خلال الألم الذي خلقته ظروف الحياة السياسية الداخلية التي أفضت إلى بلادٍ عانت قيود المستعمر، وفئةٍ سياسية حاكمة شغلتها مغانمها عن رعايا شؤون الشعب الذي حمّله الشاعر ما يحل به، فهو يرى أن ممارسات الشعب هي التي أفضت إلى حكّامٍ خانوا الأمانة وخفروا العهود وضيّعوا البلاد والعباد.

2.3.2.2. الاغتراب السياسي القومي:

لعل الاغتراب السياسي لدى عمر أبو ريشة انتمى إلى القومي أكثر من أي اغتراب سياسي آخر، وربما يعود هذا إلى تعددِ مشاربِهِ العربية لأبيه وامه، وتطلعاته ورؤاه الخاصة من جهة ثانية، فكان يرى نفسه منتمياً إلى امتداد الوطن العربي كله، ولذلك جاءت قصائده تضج بمعاناة الاغتراب السياسي القومي ضمن الانتماء إلى مشروع الأمة العربية والإسلامية كذلك.

فبعد نكبة فلسطين عام 1948م التي شرّدت الفلسطينيين وأقامت الكيان الصهيوني وبعد هزيمة الجيوش العربية، بلغ الاغتراب السياسي ذروته عند الشاعر عمر أبو ريشة وهو يرى الأمّة العربية مهزومةً أمام جماعة صغيرة لا حق لها بالاغتصاب والسلب سوى سلطة القويّ على الضعفاء، وهو يرى وطنَه مستباحاً كأنّه الحمَلُ المذبوح، حزيناً على أبنائه الذين لن يروا على تربته آثار الأحرار والمجد، يصوّر الشاعر ذلك بالقول:[1]

وطنٌ أذابَ على هواهُ شبابَهُ وحباهُ بالمأثورِ من أشعارِه
فكأنّهُ من نيلِه لُفراتِه حمَلٌ تُجاذِبُه يدا جزّارِهِ

دفعَ الوضعُ المأساوي للأمة العربية والبلاد العربية إلى اغتراب الشاعر أكثر عن حاضره السياسي، وبقيت النكبة تؤلم الشاعر أكثر فأكثر، وتزيد اغترابه، حتى صارَ يتساءلُ عن ماضي العرب العريق وبين ما حلَّ بهم، بعد أن كانوا فرسانَ السيف والقلم، يقول:[2]

أمّتي هل لك بين الأممِ مِنْبرٌ للسيفِ أو للقلمِ؟

---

[1] أبو ريشة، ديوانه، ص27.

[2] المرجع نفسه، ص23.

أتلقـــــاكِ وطرفـــــي مُطـــــرِقٌ خَجَـــلاً مـــن أمســـكِ المنصـــرِمِ

أحاط الخجلُ بالشاعر بعد أن حلّت بالأمة الهزيمة، وكأنّ هذه الأمة مما حلّ بها ليس لها من منابر العزّ والعلم شيء، إذ جعلَ أمسُها المنصرمُ الشاعرَ يُطرق خجلاً، وقد خنقته الغصص بما ألمّ بالأمة من وجود إسرائيل، واغتصابهم الأرضَ الفلسطينيةَ المقدسة، صوّر عمر أبو ريشة ألمه بجراح الإباء التي تأبى أن تلتئم، يقول:[1]

أمتـــــي! كـــــم غُصّـــــةٍ داميـــــةٍ خَنَقَـــتْ نجـــوى عُـــلاكِ فـــي فَمِـــي
أيُّ جـــــرحٍ فـــــي إبـــــائي راعِـــــفٌ فَاتَـــــه الآســـــي، فلـــــم يَلْتَـــــئِمِ
ألإســـــــرائيلَ تعلـــــــو رايـــــــةٌ فـــي حِمـــى المهـــدِ وظـــلِّ الحـــرمِ؟!

إن هزيمة العرب في فلسطين ليست "بالنكسة البسيطة، أو بالشر الهيّن العابر، وإنما هي نكبة بكل ما في الكلمة من معنى، ومحنة من أشد ما ابتلي به العرب في تاريخهم الطويل".[2] ولذلك تركت النكبة في نفس الشاعر عمر أبو ريشة أثراً بليغاً وجرحاً عميقاً، وأحس بعميق اغترابه وجراحه، فكتبَ قصيدة سمّاها (صلاة) يناجي فيها ربّ العباد، طالباً وداعياً أن يجعلَ البساتين والأرضين قفراء قاحلة إذا كان ذلك مما يقدم رجالاً أعزاء، يقول:[3]

كيـــــف نمشِـــــي فـــــي رُبَاهـــــا الخُضْـــــرِ تِيهـــــاً واختيـــــالا؟
وجـــــــراحُ الـــــــذلِّ نخفيهـــــــا عـــــــن العـــــــزِّ احتِيـــــــالا

إنّ الشاعر يرى غربته في هذه المعمورة، وأنه ليس من حقهم التيه والخيلاء، ولا الجمال والخضرة، طالما أنّهم يخفون ذلّهم عن العزّ.

وكان من نتائج سلب فلسطين واحتلالها من الصهاينة أن غدت القدسُ حاضرةً في قصائد الشاعر أبو ريشة ماثلةً في اغترابه وتوجّعه، وحين أنفق أحد رعايا المحميات البريطانية على عشيقته في ليلة واحدة ستين ألفَ دولار كما ورد في مقدمة قصيدة (هكذا) ينتفض الشاعرُ ليصوّرَ ألمه على ذلك، ونيرُ الاحتلال يقيّدُ القدس، حتى البطولات باتت غريبةً في ديارنا، جائعةً ذليلة، يقول:[4]

---

[1] أبو ريشة، ديوانه، ص23.
[2] زريق، قسطنطين، معنى النكبة مجدداً، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1976، ص8.
[3] أبو ريشة، ديوانه، ص25.
[4] المرجع نفسه، ص32.

والبطـــولاتُ علـــى غربتِهـــا فـــي مغانينـــا جيـــاعٌ خُشّـــعُ
هكـــذا... تقـــتَحمُ القـــدسُ علـــى غاصـــبيها... هكـــذا تُســـترجَعُ!

قد تألم الشاعر كثيراً على حال القدس، وقد شكلت القدس في وجدانه حالة ألمٍ عظيمة، ما فتئ يذكرها في كل مناسبة، حتى في تلك التي يفرح فيها لنصرٍ يتيم، يستذكر القدس وروابيها، حالماً بتحريرها واستعادتها حتى تكتمل فرحة النصر وتستطيب النفس نشوةَ الانتصار، يقول:[1]

يـا روابـي القـدسِ يـا مَجْلـى السـنا يـا رؤى عيسـى علـى جفـن النبـي
دون عليائـك فـي الرّحـب المـدى صـهلةُ الخيـلِ ووهـجُ القُضُـبِ

يستحث الشاعرُ الهممَ بصهلة الخيل ولمع السيوف، أملاً بعودة القدس التي هي مجلى النور لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وأرضٌ لرؤى السيد المسيح عليه السلام.

وحضرت فلسطين في شعر عمر أبو ريشة في قصائد الجلاء والفرح بطرد المستعمرين، كما حضرت في قصائد الرثاء والتأبين، ففي حفل تأبين سعد الله الجابري[2]، ينادي فلسطين التي تعني العروبة، والعروبة لا شيء دونها، فهي من سنا النبوة المحمدي، ومن حمى السيد المسيح، ثم يختم الشاعر قصيدتَه باسترجاع روح التحدي في مواجهة ما حل في فلسطين، يقول:[3]

أيْ فلســطينُ، مــا العروبــةُ لــولا قــبسٌ مــن ســنا النبــوّةِ هــادِ
كيــفَ لا تُمشَــقُ النجــومُ ذيــاداً عـن حِمـى السـيّد المسـيح الفـادي
إنَّ تاجــاً يلفُّــهُ حُلــمُ صُــهْيو نَ نضــيداً علــى جَبــينِ الفســادِ[4]
أقســمتْ أن تفضَّــهُ خَــرَزاتٍ وتوشّــي بــه ســروجَ الجيــادِ[5]
هكــذا عــاودَتْ بــلادَك يــا سَعْــ ـدُ الليــالي، بكــل واري الزّنــادِ

---

[1] أبو ريشة، ديوانه، ص65.

[2] سبقَت ترجمتُه، ص23.

[3] أبو ريشة، **ديوانه**، ص70

[4] النَضيد: جعلُ الأشياء بعضها فوق بعض. ابن منظور، اللسان: (نضد)

[5] تفضّ: تكسر وتفرّق. اللسان: (فضض)

وتجلت في قصائد المناسبات للقادة الوطنيين التي مجّد بها الشاعر أفعالهم وخلّد ذكراهم صورةُ القدس التي زادت ألمَ الشاعر فاستحضرَ تفاصيلَ اغترابه السياسي، فعل ذلك في قصيدته لسعد الله الجابري كما رأينا، وفي حفلة الذكرى لإبراهيم هنانو يستعيد ذكرى القدس مجددا، يقول:[1]

والقدسُ، ما للقدسِ يخترقُ الدّما وشـــــــراعُهُ الآثـــــــامُ والأوزارُ
أيُّ العصورِ هَوى عليه وليس في جنبَيـــــهِ مـــــن أنيابِـــــهِ آثـــــارُ

ومثّلتْ قيودُ المستعمر الفرنسي في نفس الشاعر اغتراباً طويلاً، فحينما جلا المستعمر عن أرض الوطن، كان ذلك بمنزلة عرس للمجد كما صوّرَ في قصائده التي وصفَ فيها عظيم الفرح بزهو الانتصار، يقول:[2]

يـا عـروسَ المجـدِ طَـالَ المُلتقَـى بعـــدما طـــالَ جَـــوَى المغتـــربِ
سَـــكِرَت أجيالُنـــا فـــي زهوهِـــا وغفَـــتْ عـــن كيـــدِ دَهْـــرٍ قُلَّـــبِ
وصَـــــحَونا فـــــإذا أعناقُنـــــا مُـــــثْقَلاتٌ بقيـــــودِ الأجنبـــــي

وبهذا يرى البحث أن الاغتراب السياسي القومي حضر في شعر عمر أبو ريشة حضوراً بارزاً، تمثل بتصوير آلام الأمة العربية والإسلامية والحال التي وصلت إليها من الضعف، كما تجلت في شعره القضية الفلسطينية، ولا سيما القدس بمكانتها عند المسلمين والمسيحيين.

2.3.2.3. الاغتراب السياسي العالمي:

وعـى عمـر أبـو ريشـة العلاقـة بينـه وبـين العـالم، فجـاءت العلاقـة في محـورين اثنـين: الأول: إدراك الشـاعر للمطـامع العالميـة عامـةً والغربيـة خاصـة بـالوطن العـربي وخيراتـه وأهلـه. فكان ما جاء في شعره أشبه بردة الفعل على اجتياحهم البلدان العربية واغتصابهم حقوقاً ليست لهم، وقد جاء فيما سبق وصفه للقوى الغربية بـ (أبناء السبايا)، متحسّراً أن يكون لأمثال هؤلاء راية على البلاد العربية، محمّلاً الطاغي العربي مسؤولية استجرارهم، قال:[3]

مـــا لأبنـــاءِ السّـــبايا ركبُـــوا للأمـــاني البـــيض أشْـــهَى مَرْكِـــب؟
ومتـــى هـــزّوا علينـــا رَايـــةً مـــا انطـــوت بـــين رخـــيص السـلبِ

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص73.
[2] المرجع نفسه، ص64.
[3] المرجع نفسه، ص65

الثاني: لم يرد في شعر عمر أبو ريشة أنه ذمَّ هيئة الأمم المتحدة أو النظام العالمي الدولي، ولعل هذا يعود إلى أسباب ترتبط بانفتاح الشاعر على الغرب، وإتقانه للغات أجنبية عديدة، مكّنته من الاطّلاع على تفاصيل المنظومة السياسية الدولية، فميّز بين هذي وتلك، إضافةً إلى كونه سفيراً في عدد من بلدان العالم، فكان في تفاصيل عمله الدبلوماسي معبّراً عن موقفه السياسي إزاء سياسة المجتمع الدولي الذي أوفد إليه أبو ريشة سفيراً يمثلُ سوريا دولةً، والعربَ ثقافةً، والمسلمين انتماءً عَقَدياً.

مقارنة ونتائج:

أولاً: الاغتراب السياسي الوطني:

تمثل الاغتراب السياسي الوطني في شعر بدوي الجبل باغتراب الشاعر في الآتي:

- تقسيم سوريا.
- الاستعمار الفرنسي الذي كبّلَ الحياة ووضع القيود على الشام، وهذا كثير في شعره.
- الهوان والذل الذي لحق الناس من الحكومات المتعاقبة.
- الفرق الكبير بين رجالات الحُكم من وزراء وبين حياة الرعية.
- الرئيس الحاكم وتسلطه في الحكم.
- الفقر والظلم الذي طال الناس.
- استبداد الطاغية الصنم بالحكم وسومه الناس ألوان العذاب.
- جبن القادة وانهزام الحاكمين.
- رثاء الشخصيات الوطنية مثل سعد الله الجابري وإبراهيم هنانو.

ومثّلَ الاغتراب السياسي الوطني عند بدوي الجبل مراحل زمنية مختلفة ومتعاقبة، بدءاً من دخول المستعمر الفرنسي، مروراً بأنظمة الحكم المتعاقبة حتى عهد الوحدة مع مصر 1958م، ومجيء الأنظمة العسكرية الانقلابية، وغياب الاستقرار السياسي المترافق مع رحيل الشاعر وهربه مضطراً خارج سوريا. كما صوّر الشاعر تسلط الأنظمة الحاكمة، وغياب العدالة الاجتماعية والسياسية، وأن الأنظمة الحاكمة وحدها من تتحمل مسؤولية ما يجري.

كان بدوي الجبل في اغترابه السياسي الوطني أشبه بنائبٍ داخلي عن الاغتراب السياسي الذي يمكن أن يطول الناس عامةً، ولذلك دافع البدوي عن حياة الناس وحقهم في الحياة، ولم يقرّع الشعب أو يتوجه بخطاب تحريض أو تعريض، وكان حريصاً على الثناء على شخصياته الوطنية ورثائها وتمجيد مناقبها. ولعله

من المناسب أن يشير البحث إلى أن اغتراب بدوي الجبل كان مميزاً بذكر الشام في كثير من شعره أبياتاً وقصائد.

أمّا الاغتراب السياسي الوطني عند عمر أبو ريشة، فأخذ مساراً يتقاطع مع مسار البدوي، إذ تمثّلَ في شعر عمر أبو ريشة في الآتي:

-الاستعمار الفرنسي الذي جاء بالعبودية والقهر وطمع الغرب بالبلاد.

-الحاكم الصنم والطاغي الذي كان جسراً لعبور المستعمرين.

-تنافس الحكام في البحث عن مكاسب ومغانم.

-تقاعس الشعب عن حقوقه وحياته.

-رثاء الشخصيات الوطنية مثل سعد الله الجابري وإبراهيم هنانو.

ومن الواضح أن الشاعر عمر أبو ريشة تقاطع مع بدوي الجبل في اغترابه السياسي الداخلي بالحديث عن المستعمر الغريب، والحاكم الصنم، والعبودية والقهر والفقر، والاهتمام بالشخصيات الوطنية، مع فارقين اثنين:

الأول: لم تحضر الشام في شعر عمر أبو ريشة كما حضرت عند بدوي الجبل من حيث كثرة المواضع اغتراباً وأسًى.

الثاني: لم يقف اغتراب عمر أبو ريشة عند أنظمة الحكم، بل تعدّى ذلك إلى حالة التقاعس التي يبديها الشعب إزاء نظام الحكم، وتحميله المسؤولية في اختيار المناسب لكرامته وحقوقه. بينما كان البدوي ينأى بالشعب عن أي مسؤولية، ويبقيها محصورةً في رجالات الحكم ووزراء الحكومة.

ثانياً: الاغتراب السياسي القومي:

جاء الاغتراب السياسي القومي عند بدوي الجبل واضحاً ظاهراً في مواضع كثيرة كما وجد البحث، ومنها:

-حال البلدان العربية، مثل العراق ومصر والجزيرة العربية.

-القضية الفلسطينية.

-التغني بأمجاد الأمة.

مثّلَ الاغتراب السياسي القومي عند بدوي الجبل حزن الشاعر وأسفه على الحال التي وصل إليها الوطن العربي، فتعددت فيه اللغات والعروش، ويجد البحث في شعر البدوي صوتاً صارخاً بالعروبة وهموم العرب الذين ساءت حالهم، فبكى الشاعر لحالهم، باحثاً عن ثارات يعرب وثأر فلسطين.

أمّا الاغتراب السياسي القومي عند عمر أبو ريشة، فقد برز بروزاً كبيراً، نظراً للأسباب السابقة التي سقناها، ربما تعود إلى شخصية عمر، وانتمائه الحقيقي إلى البلاد العربية نسباً وحسباً، ومن تلك المواضع في اغترابه السياسي القومي:

- حال الوطن العربي الكبير والأمة العربية. وهذا كثير في شعره.
- التغني بأمجاد الأمة.
- القضية الفلسطينية وحضور القدس بأبعادها القومية والدينية. وهذا كثير في شعره كذلك.

وبذلك نجد أنَّ تقاطعاً كبيراً بين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة في الاغتراب السياسي القومي، إذ حمل كلٌّ من الشاعرين هموم الأمة العربية والوطن العربي الكبير، والقضية الفلسطينية التي تركت أثرها في شعرهما. غير أنّ هذا الاغتراب كان أكثر وضوحاً وبروزاً عند عمر أبو ريشة من حيث كثرة الأفكار والمعاني الواردة فيه، وتعلق الشاعر بمناسبة الحديث عنه في كل مرحلة زمنية. ولذلك فإن البحث يجد أن بدوي الجبل كان أكثر تمثيلاً لسوريا بمفهومها المعاصر لمعنى الدولة، وأقرب إلى تفاصيلها الوطنية، وأكثر التصاقاً من عمر، بينما كان لعمر أبو ريشة مثيل ذلك في الاغتراب السياسي القومي، حيث جاءت قصائده نضّاحةً بهموم الأمة العربية وتاريخها وحاضرها ومستقبلها. كأن عمر أبو ريشة كان يرى في نفسه ممثلاً عن العرب كلهم في المحافل الدولية وسفيراً لتاريخ عريق أكثر من كونه ممثلاً عن الدولة السورية، وما يؤكد ذلك كون عمر أبو ريشة سفيراً للجمهورية العربية المتحدة، وهي نتاج الوحدة السياسية بين سوريا ومصر.

ثالثاً: الاغتراب السياسي العالمي:

تجلى الاغتراب السياسي العالمي لدى الشاعر بدوي الجبل وكان في حملِهِ موقفاً صريحاً واضحاً من النظام العالمي الدولي إزاء الشعوب، فقد هاجم البدوي الأمم المتحدة ورأى فيها ما يأتي:

-الكذب باسم الحضارة.

-الخداع.

-القتل والظلم والتهجير والتغريب.

-الدساتير المضحكة.

-سوقاً للنخاسة.

-بينما تجلى الاغتراب السياسي العالمي عند الشاعر عمر أبو ريشة في موقفه من الدول القوية الطامعة بالبلاد العربية، والقائمة على الوصاية والانتداب باسم الحرية والعدالة المفقودة.

وهكذا رأينا أن بدوي الجبل خاض في الاغتراب السياسي العالمي، وحمل موقفاً واضحاً، في مواضع كثيرة، على حين أن البحث لم يجد في شعر عمر أبو ريشة الموقف نفسه، إلا فيما كان له صلة بالانتداب والاستعمار، وهذا ما فصّلَ فيه البحثُ القولَ آنفاً.

2.4. الاغتراب الاجتماعي بين شعر بدوي الجبل وعمر أبو ريشة:

لا شك أن الاغتراب الاجتماعي يتشكل بفعل عوامل اجتماعية تحيط بالشاعر، ولا شك أن ثمة ترابطاً بين محيط الشاعر وداخله النفسي، بحيث يصعب الفصل بين الاغتراب الاجتماعي والاغتراب النفسي أو السياسي على سبيل المثال.

ويعد الاغتراب الاجتماعي من أنواع الاغتراب المركزية التي يجدر الحديث عنها في الدراسات التطبيقية، لأن كثيراً من أنواع الاغتراب قد تفضي إليه، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن كثيراً من أنواع الاغتراب قد تنجم عنه كذلك.

ولئن كان البعد المكاني هو المفهوم الأول الذي قد يلتصق بظاهرة الاغتراب، فلا ريب أن الاغتراب الاجتماعي لا يبتعد عن ذلك كثيراً.

وإن دراسة الاغتراب الاجتماعي عند بدوي الجبل وعمر أبو ريشة بما مرّ بهما من أحداث، وما حصل مع الشاعرين من تغيّراتٍ اجتماعية وسياسية وزمانية ونحو ذلك، لهي دراسةٌ مهمة، فهي تعكس ذات الشاعر الفردية وذاته الاجتماعية في آنٍ معاً، وتبيّن مدى التصاق الشاعر بمحيطه البشري المرسوم حوله، أو محيطه البشري المتكون في داخله، لا سيما أن الشاعرين عاشا التبدلات والظروف التاريخية ذاتها كما فصّلَ البحثُ سابقاً.

2.4.1. الاغتراب الاجتماعي في شعر بدوي الجبل:

وينقسم الاغتراب الاجتماعي قسمين: ذاتي وموضوعي.

2.4.1.1. الاغتراب الاجتماعي الذاتي:

يلتصق الاغتراب الاجتماعي عند بدوي الجبل بالاغتراب النفسي إلى حد كبير، فكل بواعث اغترابه الاجتماعية تتجلى في عاطفته الشجية المتأثرة بالمحيط الخارجي.

وبدوي الجبل لديه فلسفته الخاصة في تكوين مجتمعه الذاتي الذي يرى من خلاله ذاته متناغماً مع محيطه، محققاً بذلك وجوده بكل رغباته وأمنياته وتفاصيله.

ويذهب البحث إلى أنّ للبدوي فلسفته الخاصة في إحساسه بمكوناته الاجتماعية وتشكيل صورة تلك المكونات، في إطار المكان وتداخلات الزمان، إذ يرى البدوي أن القرب والبعد لا يقاسان بالمسافات، يقول:[1]

ورُبَّ بعيدٍ عنك أحلى من المُنى وربَّ قريبِ الدار غيرُ قريبِ

يتجاوز الشاعر بذلك إطار المكان المعهود بالقرب والبُعد، ولكنه في إحساسه الزماني يرى كيف تمضي أيام الشباب وشملُ الأحبة مفرّقٌ، لتظهر عند البدوي بواعث الاغتراب الاجتماعي مبكراً، إذ باتت الحياة وهو في زهو الشباب لا تقدم إلا الاغتراب وتشتتَ اجتماع الأحبة، يقول:[2]

وأعوامُ الشبيبةِ وهي تُطوى على شملٍ شتيتٍ واغترابِ

ويتمثل الاغتراب الاجتماعي في شعر بدوي الجبل بجملة من البواعث والمسبّبات التي ربط بها الشاعر اغترابَه:

أولاً: غياب الأهل والأصدقاء:

تظهر ملامح الاغتراب الاجتماعي في غياب صورة الأصدقاء الأصفياء لدى الشاعر في عمرٍ مبكر لم يتجاوز به الشاعر التاسعة عشرة، في قصيدة سمّاها (الشاعر والبؤس)، إنّه يرى أن العُمر قد ذهب، ولم يستطع أن يجد ذلك الخِلّ الصفيّ، ويأسى الشاعر على ما فات من عمره الذي مضى دون أن يجد بين أترابه صفياً أو خليلا، يقول:[3]

ذَهَبَ العُمْرُ ولم تُمْسِكْ يدي بين أترابي صَفِيّاً أو خَلِيلا

إنه اغتراب اجتماعي مبكر، وحُكم يطلقه الشاعر وهو دون العشرين من عمره، ينطوي على اغتراب زماني وآخر اجتماعي، وربما على اغتراب نفسي من جانب آخر.

وفي نصه (لا تحبيني) يعيش بدوي الجبل ذروةً من ذرا اغترابه، وهو تصوير فني لا شك، فليس هو ممن عاش في بيئة اجتماعية منعزلة، إنه لا يريد من أنثاه أن تحبه، فهو مفطور على الحزن، وحبه يورث الشقاء، إنه يشكو تناسي أهله له، وجفاء صديقه، يقول:[4]

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص67

[2] المرجع نفسه، ص522

[3] المرجع نفسه، ص550

[4] المرجع نفسه، ص621

قـــد تناســـاني أمـــي وأبـــي والشـــقيقْ
وصـــــديقي قـــــد جفـــــاني يـا لـه مـن صـديقْ

يتعاظم الاغتراب الاجتماعي في شعر بدوي الجبل، إذ تناساه أهله أمّاً وأباً وشقيقاً، وحظي بجفوة الصديق، فبات لا يستحق الحب. ولا شك أن هذا التعبير هو تعبير مجازي، لكن دلالاته حاضرة، فالشاعر ماتت أمه وهو صغير، وحمل يتمه باكراً، وكان الشعور العاطفي المتدفق يلازم بدوي الجبل في وجدانيات كثيرة له.

وإنَّ كلَّ ما حول بدوي الجبل يتنصّلُ منه، فلم تتوقف عزلته على تناسي أهله له، وإحساسه بعزلته عنهم، بل اصطدم الشاعر بما حوله من علاقات، فعقّه فيها الإخوان والأقربون في غمرة احتياجه إليهم، وعاش في حزنٍ بعد أن جفاه الإخوان، يقول:[1]

عَقَّنـي الأقربـونَ فـي غَمْـرةِ الخَطْـبِ وعَـــقَّ اللِّـــدَاتُ والإخـــوانُ[2]

وتتسع دائرة الاغتراب الاجتماعي عنده، إذ لم يتوقف عند مقاطعة الأهل وعقوق الأقارب وفقدان الصديق، بل ازدادت إلى شعور البدوي أن النجاح قد يورث الحقد والخصومة، فيصوّر في موضعٍ آخر كيف يلاقي العظيمُ الحقد والقطيعة، ومن أجل هذا خاصمَه من كان يرجو ودّهم ووفاءهم، ليتضاعف بذلك أساه، ويصاب الشاعر بالخيبة، يقول:[3]

وخاصـمَني مـن كنـتُ أرجـو وفـاءَه وللشـــمسِ بـــين النيّـــراتِ خصـــومُ
يلاقـي العظـيمُ الحقـدَ فـي كـلِّ أمّـةٍ فلـم يـنجُ مـن حقـدِ الطَّغـامِ عظـيمُ[4]

دفـعَ الاغـتراب الاجتمـاعي الشـاعرَ إلى العزلـة، ودفعـت العزلـةُ الشـاعرَ إلى الاغـتراب الاجتمـاعي، فتداخلَ هذا بذاك، وإنه ليرجو فيما لو ظل له من عمره بقية، أن يتوسد الكثبان الرملية في الصحراء، لتؤنسه أصواتُ الحيواناتِ الأليفة وغير الأليفة، هناك حيث تحلو له الحياة، يقول:[5]

ولـــو أنَّ عِنـــدي للشـــبابِ بقيّـــةً خففـــتُ إليـــه فـــوقَ ظَهْـــرِ نحيـــبِ
أنـامُ علـى الكثبـانِ يُـؤْنِسُ وحـدَتي بُغَـــامُ مهـــاةٍ أو هَمَـــاهِمُ ذيـــبِ[1]

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص119

[2] **اللِّدات**: جمع لِدة، وهو التِرب. ابن منظور، اللسان: (ولد).

[3] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص214

[4] **الطَّغام**: الأرذال. اللسان: (طَغم).

[5] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص32

وحين كان الشاعر في مغتربه في جنيف عام 1964، وعاش ألوان الاغتراب، عانى من لوعة الاغتراب الاجتماعي، وقد رأى تبدّل قيم المجتمع، حتى بات يؤمن ألا مكان للصحاب في الدنيا، أولئك الذين لا يفقهون إلا لغة المناظر والجواهر، مَن فقدوا مروءتهم ونخوتهم، يقول:[2]

أنا ما عَتَبْتُ على الصِّحابِ فليس في الدنيا صِحَابُ
خُرْسٌ ولكن قد تفاصحتِ الخواتمُ والثيابُ
عَقِمَتْ مروءَتُهم وتطمعُ أن يُدْغْدِغَها احْتِلابُ

ويعيش الشاعر اغترابه بعد قصيدة رثاء لواحد من أعيان المجالس الاجتماعية والعلمية[3]، ليعرض الشاعر صورتين، صورة ملؤها الحياة الجميلة المليئة بالألوان والظلال ومجالس الأُنس في أيام ولياٍل خلونَ يتمنى الشاعر لو طالت قليلاً، وصورة بائسة ملؤها الأسى والمرارة برحيل مَن يحب ووحشة مجالس السمر، يقول:[4]

لكَ في فُؤادي صُورَةٌ رفّافةٌ فتُبَدِّلُ الألوانَ والأظلالا
وتُعيدُ لي الذكرى مجالسَ أُنْسِنا طُرَفاً وما قلنا هناكَ وقالا
وليالياً مرَّت كحَاليةِ الرُّؤَى ما كانَ أطيبَ عَهْدَها لو طَالا
فيَحُزّ في نَفْسِي أسىً ومرارةً أني أراكَ توهّماً وخَيالا
تلك المجالسُ قد خَلَوْنَ من الشَّذى عُطُلاً وكنَّ الرَّوْضةَ المِحْلالا[5]

شكّلَ غياب الخليل والصديق الوفي، وكذلك ابتعاد الأهل الحقيقي والمجازي عن الشاعر، وعقوق الإخوان له، اغتراباً اجتماعياً في ذاته، فأحس بوحشته، وتوسد الرمال في وحدته، وتبدلت القيم الاجتماعية والعادات، وفقد الشاعر مجالس الأنس والسمر، وهو ما أشاع في شعره اغتراباً اجتماعياً بارزاً، أضفى على نفس الشاعر حزناً وهمّاً، فأحب عزلتَه وهفا إليها.

ثانياً: الموت والقبور:

---

[1] **بُغام**: صوت الظبية. ابن منظور، اللسان: (بغم). **همامهم**: صوت الذئب في الفلاة. اللسان: (همم).

[2] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص79

[3] ورد في عنوان القصيدة في الديوان أنها قيلت في رثاء الشيخ عبد الله درويش، ولم يعثر الباحث على ترجمة لسيرته.

[4] المرجع نفسه، ص717

[5] **المكان المحلال**: هو الذي يحلُّ الناس عليه كثيراً. ابن منظور، اللسان: (حلل).

تقلقُ فكرةُ الموتِ الإنسان منذ الأزل، وتلاحقه في كل مكان وزمان، ويخفق قلبه من تلك القشعريرة الخفية التي تصيبه إزاء الموت، حتى يغدو رسالة تحذير أو حالة قلق دفين مترافقة بمشاعر الخوف والرهبة والخشية.[1]

ويعني الموتُ رحيلَ المحيط البشري، فيزيدُ من اغتراب الشاعر الاجتماعي، ويأخذُ الأحبةَ تحت الثرى، وتصبح الديارُ طلولاً موحشاتٍ، ويغدو الثرى محبوبَ الشاعر لأنه يضم الأحبة، يقول:[2]

لا تسـلْها فلـن تجيـبَ الطُّلُـولُ المغـاويرُ مُـثْخَنٌ أو قَتِيـلُ[3]
مُوْحِشَـاتٌ يَطُـوفُ فـي صَـمْتِها الـدّهرُ فللـدهرِ وَحْشَـةٌ وذُهُـولُ
غـابَ عنـد الثـرى أحبّـاءُ قلبـي فـالثرى وحـدَهُ الحبيـبُ الخليـلُ

فلم يبق له من الأحبة والأخلاء إلا الثرى، لأن جميع مَن أحبهم باتوا فيه، فهو يعيش بعدهم في غربة اجتماعية صعبة. وباتَت الحياة فارغةً تملؤها الوحشة، والمكان المأهول هو القبر؛ لأن الأحبة نزلوه وسكنوا فيه، تتردد هذه المعاني في شعر بدوي الجبل، يقول:[4]

خيّمـت وحشـةُ الفـراغِ علـى الأحيـاءِ، فـالقبرُ وحـدَه المـأهولُ

والشاعر بفلسفته يرى اغتراب القبور من حيل الموت، ويرى أن طلب المعالي والقيم الرفيعة سبباً في تفريق شمل الأحبة بين ميتٍ وحيّ، يقول:[5]

غرّبْتنـا العُلَـى قُبُـوراً وأحيـاءَ وعَاثَـتْ بشَـمْلِنا تَفْريقـا
واغْتـرابُ القُبـورِ مـن حِيَـلِ المـ ـوتِ ليُخْفـي كنـوزَه والعُلُوقـا[6]

إنَّ مشهد القبورِ بات من مشاهد الجمالِ لدى الشاعر، وبات يُحسُّ معها بالأنس والألفة، ففيها أحبابه وأصحابه، وهي وسيلة الموت ليخبئ الكنوز فيها، وفي القبورِ الطيبُ والحبُ وزوّارُها الطيرُ والقمر، ففي حلب وحمص والفيحاء يرقد أصحابه أصدقاء النضال الوطني[7]، لقد أمست هذه القبور مجال دعوة

---

[1] يُنظر: مبروك، أمل، **فلسفة الموت**، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2011، ص66.

[2] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص285

[3] **المغاوير**: جمع مغوار، وهو البطل الشُجاع. اللسان: (غور).

[4] المرجع نفسه، ص286

[5] المرجع نفسه، ص309

[6] **عُلُوق**: جمعً عِلْق، وهو العِلم. ابن منظور، اللسان: (علق).

[7] في حلب قبر صاحبه سعد الله الجابري، وفي حمص قبر مظهر رسلان، وفي دمشق قبر عادي العظمة ونجيب الريّس.

الشاعر وإن كانت حُفراً لا تجيب أو تنطق، ورسم الشاعر حولها من صور الحياة ما يريد به أن يعوّض عن فقده لهم في حياته، وما يخفف من وطأة اغترابه الاجتماعي بعدهم، يقول:[1]

أدعُــو قُبــورَ أحبّــائِي لتســمَعَني وهـل تُجيـبُ دعـاءَ الثاكِـلِ الحُفـرُ؟!
قبــرٌ بضــاحيةِ الشّــهباءِ طــافَ بــه فلمْلَمَ الطيبَ من حصبائِهِ السَّحَرُ[2]
واستودَعَتْ حمصُ قبراً لو مَرَرتُ به لهـشَّ لـي منـه حـبٌّ مُتْـرَفٌ عطـرُ
ولــي قبــورٌ علــى الفَيْحَــاءِ غافيــةٌ زوّارُهــا الطيــرُ والأشــواقُ والقمــرُ

وحين طاح الزمان بإخوان الشاعر وأحبابه، وأمسى بعدهم حيرانَ منفرداً، لم يبق له سوى أن يحنو على حجارة القبور، التي باتت ترقّ لحاله، يقول:[3]

أصــبحتُ بعــدهمُ حيــرانَ منفــرداً والــريحُ مُعْولَــةٌ والليــلُ مُعتَكــرُ[4]
أحنــو علــى كــلِّ قبــرٍ مــن قبــورِهم أبكيه.. حتى بكى من لوعتي الحجرُ

آلمَ بدوي الجبل –كما تجلى في شعره– مَوْتُ مَن يحب، وغيابهم عن الدنيا، وقد سكنوا القبور، حتى غدت القبور مكاناً يحنّ إليه حبّاً بساكنيها كما وجدنا، ما جعل تلك القبور مثارَ اغتراب الشاعر ومحفّزاً لمشاعره، ففيها أصحابه ممن رآهم أهل إباء وكبرياء، ممن قضوا حياتهم في مدارج العلم، وفي نصٍّ له يصوّر ذلك فيقول:[5]

لِــداتُ طُفُــولتي ذَهَبُــوا تَبَاعَــاً وعــاقتْني الخطــوبُ عــن الــذّهابِ
أســائلُ عــنهمُ فــأرى وُجومــاً فأغضـي، قـد عثـرتُ علـى الجـوابِ
وأســمعُ للقبــورِ صــدىً وجيعــاً حنــينَ الغــائبينَ إلــى الإيــابِ

حتى وصل الشاعر إلى حالٍ في اغترابه الاجتماعي بات يتمنى الموت لنفسه، ويتعجب من ابتعاد المنية عنه، وهو يراها قريبة في أحبابه الذي وردوا القبور والتراب، وبقي وحده بعدهم مغترباً حزيناً، يقول:[6]

مــا للمنيــةِ أدعُوهــا وتبتعــدُ أَمَــرُّ مــن كُــلِّ حتــفٍ بعــضُ مــا أجـدُ

---

[1] بدوي الجبل، ديوانه، ص334

[2] **الحصباء**: حجارة رملية صغيرة. اللسان: (حصب). **والشّهباء**: اسمُ علَم معروف يُطلق على حلب.

[3] بدوي الجبل، ديوانه، ص334

[4] **مُعولة**: ذات عويل. **معتكر**: شديد السواد. اللسان: (عكر).

[5] بدوي الجبل، ديوانه، ص524

[6] المرجع نفسه، ص369

ظمآنُ أشهدُ وِرْدَ الموتِ عن كثبٍ والـــــواردونَ أحبّـــــائي ولا أردُ

وهكذا نرى أنّ تجليات الاغتراب الاجتماعي الذاتي لبدوي الجبل تمثلتْ بعزلته ووحشته وكابد لوعته ومعاناته من غياب الأهل والأحباب، ونكران العهود والأصدقاء، وغياب الأحبة في القبور التي باتت موطناً يُحزنه ويتطلع إليه في آن معاً.

2.4.1.2. الاغتراب الاجتماعي الموضوعي:

يتجاوز الشاعر في الاغتراب الاجتماعي الموضوعي ذاتَه، ويعبر إلى سواه، إلى محيطه المكاني أو البشري، ليرسم بالشعر صورة الاغتراب الاجتماعي التي لا تمسه مسّاً مباشراً. إن الشاعر بدوي الجبل يستشعر صورة الاغتراب الاجتماعي في علاقات الإنسان مع الإنسان، حتّى وإن وجدَ الشاعرُ نفسَه في منأى عن تلك العلاقات، ولعل هذا من مهام الشاعر في الحياة أنّه يستطيع أن يتجاوز الذات إلى الموضوع الخارج عن ذاتِه، يمرّ بدار المُلك التي هجرَها أهلُها بعد مقتل يوسف العظمة وزير الدفاع الذي قاد معركة ميسلون ضد المستعمر الفرنسي، ويرى الشاعرُ الدارَ خاويةً خالية، ويرى كيف تغيّرت الحياة فيها، ومشى فيها الاغتراب الزماني والسياسي والاجتماعي في صورة واحدة، يقول:[1]

يا ساكني القصرِ المهيبِ عَفَت، وحقِّكُمُ، القصورْ
وتغيّـرَ الـزمنُ الخـؤونُ فمـا وفـى لكـمُ عَشِـيرْ
نُقِضَـت عهـودُكمُ وخَـانَكُم المُقـرّبُ والسَّـميرْ
وتَنَكّـرَ الإخـوانُ حـين تَنَكّـرَ الـدَّهرُ الغَـدُورْ

إنه اغتراب يتداخل فيه الاجتماعي بالسياسي، وتتحد بواعثه في صورة واحدة، تتجلى في نفس البدوي الذي عاينها.

ولعل ذات الشاعر تحضر في نمط الاغتراب هذا من جهةٍ أو أخرى؛ لأن اعتناء الشاعر بهذا النمط دليل انشغاله به، ودخوله حيز اهتمامه العقلي والعاطفي، وصدى لاغترابه الاجتماعي الذاتي الذي تجلّى في شعره وبرز على حساب الاغتراب الاجتماعي الموضوعي مما نَدَرَ وقلّ.

2.4.2. الاغتراب الاجتماعي في شعر عمر أبو ريشة:

وينقسم الاغتراب الاجتماعي قسمين: **ذاتي وموضوعي**.

2.4.2.1. الاغتراب الاجتماعي الذاتي:

[1] بدوي الجبل، ديوانه، ص544

يعرض عمر أبو ريشة اغترابه الاجتماعي عرض مناسباتٍ، فهو لا يبثه في وجدانياته الشعرية هنا وهناك، بل يقيّده بالمناسبة والنص.

يتمثل الاغتراب الاجتماعي في شعر عمر أبو ريشة بجملة من البواعث والمسبّبات التي ربط بها الشاعر اغترابَه:

أولاً: غياب الأصدقاء:

جاء الاغتراب الاجتماعي عند عمر أبو ريشة مرتبطاً بحوادث معينة ومناسبات عبّر عنها الشاعر، تجلى فيها حزن الشاعر على فقدِ أصدقائه، إذ يغيبُ صديقٌ له ويغادر الحياة وهو أحد أصحابه المقربين[1]، فيأسى الشاعر ويحزن، ويفقد مجلس صحبه ومسامراته، ويسأل القلبُ عنهم، فلا يلقى جواباً سوى (رجع النواح)، يقول:[2]

أيــنَ؟ لا أيــن! نَــدوتي ونِقَــالي وصَــدى مِزْهَــري ونَفْحَــةُ راحــي[3]
والصِّــحابُ الصِّــباحُ والزّهــوُ رفّــافُ الحَواشِــي علــى الصِّــحابِ الصِّــباحِ
يســألُ القلــبُ عــنهم وجــلالُ الصــمتِ فــي مِســمعَيّ رجــعُ نــواحِ

يتحسر الشاعر على ما فات منه من مجالس الصحب حيث الحياة ترف مع الصِحاب الصِباح. ولئن غابَ أولئك الصحب الذين يحبهم ويرتبط بهم روحاً ونشوة، فقدْ غابت فئة أخرى من أصحابه بعد أن نسيت ذكره، ولم تحفظ وده، ليعيش اغتراباً اجتماعياً، وبات يشعر بوحدته ووحشته التي قلما نجدها في شعره على المستوى الوجداني الذاتي، يقول:[4]

وجَفَــاني كــلُّ أترابــي، فمــا حفظُــوا ودّي ولا أوفَــوا بعَهــدي
إنّــهُ عُمْــري فلــن أرمــي بــه لا أُطِيقُ السَّيرَ في الوَحْشةِ.. وحدي!!

يشكو الشاعر السيرَ وحيداً بعد أن جفاه كل أترابه، وهي صورة واضحةٌ في نصٍّ آخر عنوانُه (نجمة)، حيث "يسير الشاعر في الليل وحيداً غريباً يفكر في أبيه وأحبابه الموتى فسمعَ كأنَّ صوتاً يناديه، فالتفتَ

---

[1] هو حلمي الأتاسي، رفيق دربه، وكان نائباً سياسياً عن مدينة حمص.

[2] أبو ريشة، **ديوانه**، ص84

[3] **النِقال**: من مناقلة الأقداح، وهو مجلس الشراب. ابن منظور، اللسان: (نقل).

[4] أبو ريشة، **ديوانه**، ص171

مضطرباً فلم يلمح سوى نجمة واحدة تسطع في الأفق"[1]، يشعر عمر أن من يعرفه قد أنكره، لتحضر صورة الغربة والغريب، إنه يستوحش الحياة في دروب عمره، يقول:[2]

مـــن ينـــاديني وقـــد أنكرنـــي فـــي دروب العمـــر مـــن يعرفنـــي
أغريـــبٌ؟ مـــلّ فـــي غربتِـــه عبـــثَ الـــوهمِ ولهـــوَ الـــزّمنِ

ثم لا تلبث أصداء النداء أن تخفت، ويختفي أثرها في أذن الشاعر، ويظل الشاعر يبحث عن منبع ذلك النداء لعله يكسر وحشته واغترابه، فإذا بها نجمة في أقصى الأفق، بعيدة، يرجو الشاعر لو يصبحُ ذيلُها الوضّاءُ كفناً له، يقول:[3]

مـــا لأصـــداءِ المنـــادي خفتَـــتْ وتلاشَـــى وَقْعُهـــا فـــي أُذُنـــي
نَجْمـــةٌ ضَـــاءَتْ علـــى البُعْـــدِ فيـــا ذَيْلَهـــا الوضَّـــاءَ كُـــنْ لـــي كَفَنـــي!

يواجه عمر أبو ريشة اغترابه ذاك، بصورة فنية يأمل فيها أن يكون كفنُه ضوء النجمة، وهو الضوء الذي ينقله من عالم إلى آخر، ويمضي به شهاباً سماوياً بعيداً عن عالم أرضه الموحش.

يجد البحث أن عمر أبو ريشة لم يأتِ على شيء من غياب الأهل، وانحصر اغترابه الاجتماعي في غياب أصحابه حيناً وجفائهم حيناً آخر، وهي معانٍ لم تتكرر في شعره إلا في موضعين اثنين كما ورَد.

ثانياً: الموت:

كان الموت حتميةً أذكت اغتراب الشاعر الاجتماعي؛ لأن الموت يمثّل الرحيل والفقدَ والوحدة والغياب، ويصوّر عمر أبو ريشة في نصه (لوعة) صورةً من اغترابه الاجتماعي المتجسّدِ بوفاةِ ابن أختهِ، وهو بعيدٌ عنهم، يجسّدُ ذلك في قالبِ رسالةٍ تصلُه من أختِهِ، تحدّثت فيها عن الشوق وبُعدِ المنزل، فما الذي تخبئه الرسالة اليوم، هكذا بدأ الشاعر نصه، يقول:[4]

خـــطُّ أختـــي لـــم أكـــن أجهلُـــهُ إنَّ أختـــي دائمـــاً تكتـــبُ لـــي
حـــدّثْني أمـــسِ عـــن أهلـــي وعـــن مضـــضِ الشـــوقِ وبُعـــدِ المنـــزِلِ
مـــا عســـاها اليـــومَ لـــي قائلـــةٌ؟ أيَّ شـــيء يـــا تُـــرى لـــم تَقـــلِ؟

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص61

[2] المرجع نفسه، ص61

[3] المرجع نفسه، ص62

[4] المرجع نفسه، ص55

يستعرض الشاعر عمر أبو ريشة طيف ابن أخته عليّ، وما حدّثه به عن مستقبله وكبريائه وأحلامه، وما ينوي أن يفعله، يستجمع عمر أبو ريشة صورةً من الحياة والجمال في ذلك المقطع المليء بالأمنيات والحركة، ولكن سرعان ما تخبو الحياة وتموت الأماني، إنّ رسالة أخته، لم يكن فيها سوى سطرٍ واحدٍ، يقول:[1]

عُـدْتُ للطِّـرْسِ الـذي لـيس بـه غيـرُ سـطرٍ واحـدٍ مُخَتـزِلِ
وإذا أقفـلَ معنـاه علـى وَهْمـي الضّـارعِ كـلَّ السّـبلِ
غرقـتْ عينـاي فـي أحرفِـهِ وتهـاوى مِزَقـاً عـن أَنْملـي!

يستسلم الشاعر لدموعه، ولذلك السطر الذي سقط ممزقاً بعيداً عن أصابع الشاعر، ليعيش الأسى كلّه بما كتبت أخته التي أخبرته بموت ابنها عليّ، ذلك الخبر الذي ينحر الشاعر على حدّ تعبيره، يقول:[2]

قلـبُ أختـي.. لـم أكـن أجهلُـهُ إنَّ أختـي دائمـاً تُحسـنُ لـي!
مـا لهـا تنحرُنـي نَحْـراً علـى قولِهـا.. مـاتَ ابنُهـا.. مـاتَ عَلـي

تراءى الاغتراب الاجتماعي في نصه ذاك جملةً نصيةً واحدة، عَرَضَهُ الشاعر سرداً، ليكشف به عمّا وصلت إليه حاله برحيل ابن أخته، حريصاً على ذكر ما ألمّ به من تفاصيل برسالة أخته التي أخذ الموت منها ابنَها، كما أخذه من الشاعر خالاً وشاعراً.

ويحنُّ عمر أبو ريشة بعد فراق قريبه المحبوب، خال أولاده جميل محمد مراد إلى جلسات السمر في لبنان، والمغاني التي انفضّ عقدها، متذكراً تلك اللحظات الجميلة التي عاشها، وبات يفقدها اليوم، بعد أن كانت ملجأ له ولأحبابه يغسلون فيها صدأ العمر يقول:[3]

يـا مغـاني لبنـانَ هـل هَجَـعَ السُّـ ـمَّارُ وانفـضّ عِقْـدُهم يـا مغـاني؟
أيـنَ نـادٍ لنـا سَـهِرتِ عليـه والليـالي مطروفـةُ الأجفـانِ؟
كـم أَوَينـا إليـه نغسـلُ فيـه صَـدَأَ العُمْـرِ مـن غُبـارِ الزّمـانِ

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص55
[2] المرجع نفسه، ص55
[3] المرجع نفسه، ص58

تغيّرت الصورة الجميلة تلك وتحولت إلى صورة اغتراب اجتماعي يحن فيها الشاعر إلى كل التفاصيل التي اختنقت فيها بقايا الأوتار، وغفت روائع الأسرار، ذلك أنّه لا يريد أن يزيد أكثر، فالمشرّد العطشان يصعب عليه أن يتحدث عن رقة الجدول: يقول:[1]

وبقايـــا الأوتـــار مخنوقـــةُ الأصْـــ ... داءِ منشـــــورةٌ علـــــى العيـــــدانِ

كـــان نـــادٍ لنـــا فيـــا روعـــةَ الأسْـــ ... رارِ نـــامي فـــي حُجْـــرةِ الكتْمـــانِ

لا تطيـــقُ الحـــديثَ عـــن رِقّـــةِ الـــ ... جَـــدْولِ أذنُ المشـــرّدِ الظّمـــآنِ

وبذلك رأينا أن الموت أفقدَ عمر أبو ريشة كثيراً من تفاصيل حياته الاجتماعية، فشعر بالاغتراب بعدَ مَن فقدَ، وحنَّ إلى مجالسِ ذكرياتهم، وحزنَ لفقدهم وغياب طيوفهم.

2.4.2.2. الاغتراب الاجتماعي الموضوعي:

يكاد الباحث لا يعثر في قصائد عمر عن الاغتراب الاجتماعي إلا على صورٍ رمزية اجتماعية كانت تعبيراً عن وقائع سياسية، كصورة اليتيم الغريب في وطنه، ذلك السجين المرهق بقيود المستبدين، ولعل هذا الاغتراب أقرب ما يكون إلى الاغتراب السياسي، ولكن تفاصيل النص الشعري عند عمر أبو ريشة جعلت الباحث يصنفه تحت الاغتراب الاجتماعي، ففي قصيدة (يتيم) يصف الشاعر مشهد اليتيم أمام ملاعب صباه وطفولته، فحمل منه الأسى والشجن خلاف ما يحمل أقرانه منها الذين يعودون مساءً إلى بيوتهم وإخوانهم، ليغفو كلّ واحد منهم على فيض القبلات والمحبة، خلاف ذلك اليتيم، الغريب في وطنه، يقول:[2]

كـــم أَتَـــى مَلْعَـــبَ الحِمـــى فشَـــجاهُ ... هَتَفَـــاتُ الأفـــراحِ مـــن فِتْيانِـــهْ

وتَنَـــادِيهم إلـــى مُتَـــعِ اللّهْـــ ... ـــوِ وتَجْـــوالُهم علـــى مَيْدانِـــهْ

كُلُّهُـــم آيـــبٌ علـــى مَغْـــرِبِ الشَّمـــ ... ـسِ إلـــى أهلِـــهِ، إلـــى إخْوانِـــهْ

بـينَ فَـيْضِ القُـبُلات يَـأوي إلـى المَهْـ ... ـدِ ويغفُـــو جَـــذْلان فـــي أحضـــانِهْ

مَـنْ لِـذاك المنسيِّ مـن خَـاطِرِ النَّعمـا ... ءِ مَـــنْ للغريـــبِ فـــي أوطانـــه؟

ويتضح من الأبيات أن الشاعر يمزج بين الاغتراب الاجتماعي والسياسي في صورة بائسة موحية، يصوّر فيها اغتراباً موضوعيّاً ليتيم تتقاذفه أمواج البؤس في الحياة داخلَ وطنه.

مقارنة ونتائج:

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص59

[2] المرجع نفسه، ص351

الاغتراب الاجتماعي الذاتي:

حفلت قصائد بدوي الجبل بالاغتراب الاجتماعي الذاتي الذي عكس وحدته ووعيه المبكر لمحيطه الاجتماعي، وقد تبدّى ذلك عند البدوي حينما شعر بفقدان الأهل والأصدقاء، وجفاء الأحبة والأصحاب، وتعرّضَ لعداوة يتعرض لها الناجحون والعظماء، وكان للموت أثر في اغترابه الاجتماعي، الموت الذي أخذ رفاقه وأصحابه، حتى إنّ مشهد القبور بات واضحاً في شعره، متكرراً في مواضع كثيرة من قصائده.

وظهر في الاغتراب الاجتماعي الذاتي للبدوي الحزن والأسى واللوعة مما مرّ به وتركَ في نفسه وحشةً وفراغاً. وتجلى غياب الأهل في شعره في سن مبكرة، وربما يعود ذلك إلى نشوء البدوي يتيماً منذ طفولته المبكرة وموتِ والدته التي لم تمسك ذاكرته منها بشيء.

أمّا الاغتراب الاجتماعي الذاتي عند أبو ريشة فكانت له أسبابه التي اشتركت مع أسباب البدوي من غياب الأصدقاء ومجالس الأنس، وما فعله الموتُ فغيّبَ ابنَ أختِهِ ثم خالَ عياله. على أن البحث يرى كثرةَ مواضع الاغتراب الاجتماعي الذاتي في شعر بدوي الجبل، فجاء اغترابه وجدانياً معبّراً عن تفاصيل كثيرة ألمّت بالشاعر في مراحل مبكرة، وامتدت إلى مختلف مراحل حياته. وكانت عاطفة الشاعر قويةً جليّة، بغياب الأهل والأصدقاء، وما ترك الموت من أثر. على حين أننا لم نجد تفاصيل كثيرة في شعر عمر أبو ريشة في هذا الباب، فكان اغترابه الاجتماعي الذاتي منحصراً بما أججتْ به حوادث الحياة من قصائد أظهر فيها اغترابه، ولذلك يرى البحث أن اغتراب البدوي الاجتماعي كان اغتراباً تفصيلياً، بينما كان اغتراب عمر اغتراباً نصيّاً أو اغترابَ مناسبةٍ وحدَث.

الاغتراب الاجتماعي الموضوعي:

لم تحفل قصائد الشاعرين بدوي الجبل وعمر أبو ريشة بالاغتراب الاجتماعي الموضوعي، خلا نماذج قليلة جداً، وجدها البحث متداخلة بين الباعث الاجتماعي والباعث السياسي، وهي أقرب عند عمر أبو ريشة إلى السياسي، كما في نصّه اليتيم (يتيم).

ولعلّ سبب قلة هذا النمط من الاغتراب عند الشاعرين هو أنّه يتصل بذات الفرد ووجدانه، ولا يكاد يخرج عن دائرة الوجدان الشخصي إلا في مواضع قليلة.

2.5. الاغتراب الديني بين شعر بدوي الجبل وعمر أبو ريشة:

نشأَ كلٌّ من بدوي الجبل وعمر أبو ريشة في بيئةٍ عائلية دينية، أقرب ما تكون إلى بيئة التصوّف عندَ كلٍّ

منهما، وقد تشابهت تفاصيل نشأة الشاعرين من عنايتهما المبكرة بقراءة القرآن الكريم والانتماء إلى الثقافة العربية الإسلامية، ولا سيما الفلسفة المنبثقة من تراث الحضارة العربية الإسلامية، بتجلياتها الروحية العميقة.
ويعد الاغتراب الديني –كما مر سابقاً– مما يصيب الإنسان، حين يشعر أن ثمة مسافة بينه وبين اعتقاده الديني، وحقائق الإيمان التي يؤمن بها، وقد ينمو هذا الاغتراب في النفس إذا تعاظمت الهوة بين الواقع المعاصر وبين الماضي الذي تزامن فيه الوهْجُ الديني بوهج المعرفة والتقدم والانتصارات.

2.5.1. الاغتراب الديني في شعر بدوي الجبل:

عاش الشاعر بدوي الجبل في ظل بيئة دينية منذ طفولته، وتشبع بالفلسفة العربية الإسلامية، وانتمى ثقافياً إلى التاريخ الإسلامي، ولذلك فإن الباحث يسهل عليه أن يجد في شعره مظاهر متنوعة للتراث الديني في شعره، و"إن الإيمان كقيمة في تجربة بدوي الجبل تعني أول ما تعنيه يقين الشاعر في الأهمية التي تمثلها مبادئ الإسلام في الحياة"[1]، على أن البحث وجد في شعر بدوي الجبل مظاهر متنوعة للاغتراب الديني الذي عاشه الشاعر، وهو يرى حال الأمة الإسلامية من ضعف وذل، رغم يقينه أن الإسلام بحد ذاته "خصيب الهدى"، يقول:[2]

فيـا مُهْجتـي وادي الأمـينِ مُحمّـدٍ خصيبُ الهُدَى والزرعُ غيرُ خَصِيبِ

والشاعر في غير موضع يفصّل في مظاهر الحال التي وصل إليها المسلمون، ولا سيما وهو يرى الهزائم التي تمر بها الأمة وعلى رأسها هزيمة العرب والمسلمين وتقاعسهم أمام القضية الفلسطينية وضياع المسجد الأقصى، يقول:[3]

هل دَرَتْ عدْنُ أنّ مسجدَها الأقصى مكـانٌ مـن أهلـهِ مهجـورُ؟
أين مسرى البراق، والقدس والمهد وبيـتٌ مقـدّسٌ معمـورُ
لـم يُرتَّـلْ قـرآنُ أحمـدَ فيـه ويُـزار المبكـى ويُتْلَـى الزبُـورُ

هنا يختلط الاغتراب الديني بشجن الواقع السياسي، ويربط الشاعر بين كون المسجد الأقصى مسرى الرسول عليه الصلاة والسلام لا يُقرأ فيه القرآن ويغيب عنه المسلمون ويمارس اليهودُ فيه طقوسهم، وبين

[1] فروجي، رابح، **التجربة الشعرية في شعر بدوي الجبل**، أطروحة دكتوراه، جامعة فرحات عباس، الجزائر، 2011، ص84
[2] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص61
[3] المرجع نفسه، ص233

الواقع المتردي للسياسة العربية التي تهاونت في حق المسجد الأقصى وفلسطين العربية التي شكلت باعثاً من أهم بواعث الاغتراب الديني لدى الشاعر، يقول:[1]

يـا لَـذُلِّ الإسـلامِ والقُـدسُ نهْـبٌ هُتِكَـتْ أرضُـهُ فـأينَ الغيـورُ؟

ولعل ربط الشاعر اغترابه الديني بالاغتراب السياسي، وبروز مشاعر الحزن لما آل إليه الوضع في فلسطين، وبقاء المسجد الأقصى مهجوراً من أهله، وضياع الحواضر العربية، هو مما يلحَظ في شعر بدوي الجبل، في ظل الواقع البائس الذي يعيشه المسلمون وهم بعيدون عن المصحف، والمدن تسقط وتتهاوى بيد الأعداء، يقول:[2]

طُـوي المُصـحَفُ الكـريمُ، وراحـت تتشـاكى آياتُـهُ والسـطورُ
تُسـتبى المُـدْنُ والقُـرى هاتفـاتٍ: أيـن.. أيـن الرشـيدُ والمنصـورُ؟
يـا لَـذُلّ الإسـلام! إرثُ أبـي حفـصٍ بديـدٌ مُضـيّعٌ مغمـورُ

يستدعي الشاعر في اغترابه الديني نماذج من الشخصيات الإسلامية في محاولة للاتكاء التاريخي على البطولات التي حققوها، ومنها هارون الرشيد وأبو جعفر المنصور وعمر بن الخطاب محرر الأقصى. غير أن واقع المسلمين يدفع الشاعر إلى أن يتأمل دنياهم فلا يرى فيها إلا المناحات والويلات، فيستعير أثواب مكة السود دلالة رمزية على ما تمر به الأمة من محن وآلام، يقول:[3]

كـلُّ دنيـا للمسـلمين مناحـاتٌ وويـلٌ لأهلِهـا وثبـورُ[4]
لبسـت مكـةُ السـوادَ وأبكَـتْ مشـهدَ المرتضـى وذُكَّ الطُّـورُ

يشكو الشاعر حال الإسلام والمسلمين وما وصلوا إليه، ويرى الشاعر أنّ من أهم أسباب ذلك هو أن المسلمين وصلوا إلى حالٍ بائسة بتركهم الإسلام خلفهم وهو الطبيب لكل أمراضهم، يقول:[5]

تـداووا مـن الجُلّـى بُجلَّـى.. وخلّفـوا وراءَهـم الإسـلامَ خيـرَ طبيـبِ[6]
كنـاعٍ على شمسِ الضّحى زهوةَ الضّحى ويرجـو الهُـدَى مـن ظلمـةٍ وغُـرُوبِ

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص235

[2] المرجع نفسه، ص233

[3] المرجع نفسه، ص234

[4] الثبور: الهلاك. ابن منظور، اللسان: (ثبر).

[5] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص68

[6] **الجُلّى**: الأمر الشديد. ابن منظور، اللسان: (جلل).

ولعل الاغتراب الديني دفع البدوي إلى أن يحمل الموقف ذاته من دائرة الاغتراب الديني الأوسع، إذ صار موقفه لا يخص المسلمين وحدهم، بل الشرائع جميعها، لأن مقاييس المجتمع وقيمه قد تغيّرت، فقام دين المطامع، وأصبح عالم القوّة هو الذي يحكم العالم، يقول:[1]

أيــن الشــرائع؟ لــم يعــد فــي الأرضِ ظــلٌّ للشــرائعْ
درَسَــت وقــام بنــا علــى أنقاضــها ديــن المطــامعْ
الصّــدقُ مــا نطقــت بــه فــي النــاس أفــواه المــدافعْ

وهكذا فإن الاغتراب الديني عند بدوي الجبل كان مرتبطاً بالحالة السياسية والواقع المتردي للأمة العربية والإسلامية، فحاول الشاعر استعادة الرموز التاريخية الإسلامية، ومثّل المسجد الأقصى حالة اغتراب حاضرة في شعره، كما تألم الشاعر لحال البلاد الإسلامية وقد فقدت مكانتها ومدنها، ونسيت قرآنها وشريعتها.

2.5.2. الاغتراب الديني في شعر عمر أبو ريشة:

لم يكن الاغتراب الديني في شعر عمر أبو ريشة إلا وسيلة من وسائل التعبير عن القهر المعاصر إزاء التاريخ المجيد للأمة الإسلامية وجيرانها ومن هم في كنفها، فكان الاغتراب الديني تعبيراً عن حالة استدعاء لعناصر القوة المخطوفة، ولعل القضية الفلسطينية مجدداً كانت تدفع الشاعر في ذلك الاتجاه، فهو يصوّر الحُلة المسيحية في روابي القدس، حيث خلت من كل طقوس العبادة وأماكنها، يقول:[2]

هــل فــي روابــي القــدس كهــفُ عبــادةٍ تْحُنــو جوانبُــهُ عــل أَحْبَــارِهِ؟

ويعيش عمر أبو ريشة اغتراباً دينياً من نوعٍ جديد، حين لا يرى الغرب المسيحي متخلّقاً بأخلاق الإنجيل، وغدت البلدان الغربية محتلةً لسواها، تمارس أعتى صورِ القتلِ والإرهاب باسم المسيح، يقول الشاعر:[3]

مــا عهــدْنا الإنجيــلَ إلا منــاراً لســلامٍ وقائــداً لصَــلاحِ
غمــرَتْ آيَــهُ الــدّماءُ وسُــلّتْ باســمِهِ السَّــمْحِ مُدْيــةُ السّــفّاحِ

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص546

[2] أبو ريشة، **ديوانه**، ص28

[3] المرجع نفسه، ص78

ويتكرر المعنى ذاته في موضع آخر، وهو يتعجب من أن يمسي الصليب شعارَ قتالٍ، تجري الدماء باسمه، يقول:[1]

مَــن يظــنُّ الصَّــليبَ وهــو شِــعا رُ السِّــلْمِ أن ينثنــي شِــعارَ قِتــالِ

وتغدو فلسطين في شعر عمر أبو ريشة رمزَ اغتراب المسيحي والمسلم معاً، وهو يكرر ذلك في غير موضع، يقول:[2]

مَنْ لمهْدِ المسيحِ والمسجدِ الأقصى وقــــد ردّدَا صــــلاةَ الجهــــادِ؟

إن عمر أبو ريشة في إطار اغترابه الديني يربط ذلك بالسياسي، لكنه الديني برموزه المنطوية على المسيحية والإسلام، في حالة انتقال وتجاوز للذات الفردية إلى حالةٍ تمثل اغتراباً دينياً ذا شِقّين.

وظهرَ جليّاً في شعر عمر أبو ريشة مقتُه لمن يفرّق بين الناس باسم الدين، لأنّ ذلك –وفق الشاعر– مخالف لمفهوم الدين القائم على الرحمة والأنوار والنفحات الروحية، يقول:[3]

يــا مــن يفــرّق بــين أكبــادِ الــورى باســم الشــرائعِ أنــتَ أكبــرُ مجــرمِ
مــا الــدّينُ إلا قطــرةٌ مــن رحمــةٍ قدســيةٍ ســقطت علــى حقــلٍ ظمــي

إنّ الشاعر يجد تفاوتاً كبيراً بين تعاليم الأديان وبين بعض تطبيقاتها التي أفضت إلى قتل القيم ووأد المبادئ والأخلاق، فحمل الشاعر موقفاً واضحاً من ذلك في شعره، وعاش اغترابَه الديني الذي أفضى إلى قناعته أن بعض تلك الفتاوى إنما أفتى بها الجاهلون لا العلماء، والمتغطرسون الذين جعلوا الحلال حراماً والحرامَ حلالا، يقول:[4]

تلــك العقائــدُ فُصّــلت مــن جاهــلٍ متغطــــرسٍ أو أحمــــقٍ مــــتعمّمِ
هــم حرّمــوا للنــاسِ كــلَّ مُحلّــلٍ هــم حلّلــوا للنــاسِ كــلَّ محــرّمِ

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص452
[2] المرجع نفسه، ص90
[3] المرجع نفسه، ص278
[4] المرجع نفسه، ص278

ويستحضر الشاعر الرموز التاريخية الدينية للتعبير عن الواقع الصعب الأليم الذي تمر به الأمة، مقارناً بين ما كانت عليه من عزٍّ وقوةٍ وتقدّم وبين ما آلت إليه من ذلٍّ وضعفٍ وهوان، يقول مخاطباً خالد بن الوليد:[1]

يا مُسجّى في قبة الخلدِ يا خا ... لِدُ هل من تلفّتِ لبياني؟
أنا من أمّةٍ أفاقت على العزّ ... وأغفت مغموسةً في الهوانِ

وفي العبادات يرى الشاعرُ اغترابَه، وتطول المسافةُ بينَه وبين الصلاة والصيام ومناسك الحج، إنّه وإنْ أدّاها غير أنّه لا يشعر بها كما يجب، فلا يتفكر في آيات الصلاة، وينسى في صيامه الفقراء والجياع، ويرجم الشيطان وهو موثق بحبائله، يقول:[2]

أنا في موئلِ النبوّةِ يا دنيا ... أؤدّي فرائضَ الإيمانِ
كم صلاةٍ صلّيت لم يتجاوزْ ... قُدسُ آياتِها حدودَ لساني!
كم صيامٍ عانيتُ جوعيَ فيهِ ... ونسيتُ الجياعَ من إخواني!
كم رجمتُ الشيطانَ والقلبُ مني ... مُرهقٌ في حبائلِ الشيطانِ!

إنّ الشاعرَ يُقرُّ بغربته الدينية وطغيانِ الأشكال والطقوس على المضمون والمعاني، يقول:[3]

ربِّ عفواً إن عشتُ ديني ألفاظاً ... عجافاً ولم أعشه معاني

ويرى الشاعر أن حال الأمة الإسلامية في ظلام، حينما استعادت جاهليتَها تاركةً مشعل النبوة، يقول:[4]

أنا من أمّةٍ تجوسُ حماها ... جاهليّاتُها بلا استئذانِ
أسقطَت مشعلَ النبوّةِ في الليلِ ... وأرخَت للتيهِ كلَّ عِنانِ

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص434
[2] المرجع نفسه، ص442
[3] المرجع نفسه، ص442
[4] المرجع نفسه، ص442

وفي مكة يستعيد الشاعر صورة التاريخ المشرق، وينظر إلى الواقع المعاصر فيرى كيف تبدلت الحال، إذ اندثرَ ملكُ مكة وتقطعت أوصالُ أرضها، وانقسمت بين ابتداعٍ وذلٍّ، وضاع هلال المسلمين أمام نجمة إسرائيل، يقول:[1]

أنا في مكةٍ.. وتنفضُ رؤياي ... وأصحو على عَجيبِ المآلِ
وأرى مُلكَها المديدَ على الأرْ ... ضِ بديداً مقطّعَ الأوصالِ
بعضُهُ هاجعٌ على بِدَعِ الكُفْ ... رِ وبعضٌ على الضيم غيرُ مبالِ
يخْجَلُ الإرثُ أن يُسائِلَ عمّا ... ألحقتْهُ أواخرٌ بأوالي
أينَ إسلامُهم ونجمةُ إسرا ... ئيلَ فيه تدوسُ خدَّ الهلالِ؟

وهكذا فإن الاغتراب الديني عند عمر أبو ريشة تمثّل بحالة الضعف السياسي التي سلبت الأقصى فعلت نجمة إسرائيل، وصورة الغرب المسيحي الذي أسال الدماء باسم الصليب، كما تمثل بالواقع المتردي للأمة العربية الإسلامية التي عادت إلى جاهليتها تاركةً إسلامها، فاستحضر شخصية خالد بن الوليد، كما أظهر البحث أن الشاعر عانى اغترابَ العبادات وفقدان التجلي الروحي لجوهر العبادات المنشود.

نتائج ومقارنة:

تجلى الاغتراب الديني عند بدوي الجبل في ارتباطه بالحالة السياسية أكثر من كونه اغتراباً دينياً يعيشه الشاعر، وقد ورد في الآتي:

- المسجد الأقصى والقضية الفلسطينية.
- استدعاء الشخصيات التاريخية.
- هوان المسلمين وضعفهم.
- استغلال مظاهر الشرائع.
- هجران المصحف.

فالشاعر بدوي الجبل لم يعانِ الاغتراب الديني الوجداني بمفهومه الروحي والصوفي، وإنما كان اغترابه دينياً نابعاً من حالة الواقع البعيد عن التراث الزاهي والتاريخ العريق للأمة الإسلامية، غير أن الشاعر وظّفَ ذلك الاغتراب الديني فنيّاً في إطار استدعاء حالة النصر والقوة التي كانت عليها الأمة.

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص448

أما الاغتراب الديني عند عمر أبو ريشة فكان أكثر بروزاً وكثرت مواضعه قياساً على شعر البدوي، وارتبط في جانب منه بالحالة السياسية كما ارتبط ذلك عند البدوي، وقد ورد في الآتي:

- القدس والقضية الفلسطينية.
- استدعاء الشخصيات الدينية.
- الاغتراب الديني عن المسيحية.
- الاغتراب الديني عن الإسلام.
- الاغتراب الديني عن العقائد.
- هوان الأمة وضعفها.
- اغتراب العبادات.

ونلاحظ أن الاغتراب الديني عند عمر أبو ريشة كان أبرز منه عند بدوي الجبل، وأن الشاعرين تقاطعا في كثير من تفاصيل الاغتراب الديني، غير أن عمر أبو ريشة تفرد بجانبين اثنين: الأول: أظهر أبو ريشة اغتراباً دينياً حيال التناقض بين حاملي الصليب وممارساتهم.

الثاني: تجلت عند عمر أبو ريشة أنفاس وجدانية خاصة أظهرت اغتراباً دينياً مرتبطاً بالممارسة الروحية للعبادات وجوهرها.

2.6. الاغتراب النفسي والعاطفي بين شعر بدوي الجبل وعمر أبو ريشة:

تتصل علائق المحيط الخارجي بالنفس الإنسانية في كل تفاصيلها، ويكون ما في النفس مجلًى يعكس ارتباط الإنسان بما يحيط به، وقد تنشأ بواعث نفسية داخلية كالحزن والأسى والقلق تدفع المرء إلى فقدان العلاقة بينه وبين ذاته.

ولا شك أن العلاقة بين الإنسان وكوامن نفسه الداخلية هي علاقة ذات خصوصية ظاهرة عند الشعراء.

وتجلى الاغتراب النفسي والعاطفي عند بدوي الجبل وعمر أبو ريشة ببواعث نفسية داخلية متعددة، كالحزن والقلق واليأس والحب والشوق وغير ذلك.

2.6.1. الاغتراب النفسي والعاطفي في شعر بدوي الجبل:

يرتبط الاغتراب النفسي والعاطفي بجملة عوامل ذاتية لدى الشاعر بدوي الجبل، فكل ما يدور في الاغتراب يمكن أن يكون له منفذ نفسي إليه، فثمة تداخل كبير بين الاغتراب النفسي وأنواع الاغتراب

الأخرى كما رأينا ذلك، ولعل قصائد الغربة والاغتراب تنطوي تحتها تفاصيل الاغتراب النفسي الذي باح به الشاعر ونفثَ لواعجَه، إذْ تحاصر الوحدةُ الشاعرَ، أو تصيبه الكآبة الخرساء، ويعيش اغترابه، يقول:[1]

اتركينـــي بوحْـــدتي وعَنـــائي واهربـــي مـــن تـــأوّهِي وبُكـــائِي
والكآبـــاتُ ألـــفُ نـــوعٍ ومـــا يقتـــلُ غيـــرُ الكآبـــةِ الخرســـاءِ

وبات يرى قطرة الماء التي تفارق سحابَها مغتربة، وذلك إنما يعكس ما هو عليه في بلاد الغربة، فهناك في جنيف وفي ابتهالاته التي صرخ بها بأنواع الاغتراب، جعل الشاعرُ نفسَه تلك القطرة المغتربة، يقول مناجياً الله:[2]

أنـــا مـــن بحـــارِكَ قطـــرةٌ ممـــا تحمَّلَـــهُ الرّبـــابُ
ألقـــى بهـــا بعـــد السِّـــفارِ فضـــمّها قفـــرٌ يبـــابُ
يـــا دمعـــةَ المُـــزنِ اغتربـــتِ وشـــطَّ أهلـــكِ والجَنَـــابُ

واتصل الاغتراب النفسي لدى بدوي الجبل بواقع الأمة، فليست دمعة الغيوم وحدها المغتربة كما يرى الشاعر، بل حتى العيد بات غريباً في قومه، ولم تتجلّ صورة اغتراب التفاصيل هذي كلها لدى الشاعر لولا الاغتراب النفسي الذي أصابه، وإن اختلفت بواعثه ومنابعه، حتى صار العيد يُخيفه، يقول:[3]

يروّعنـــي العيـــدُ ديّانـــاً لأمّتـــه مـن أغضـبَ العيـدَ حتـى صـار ديّانـا
تغـرّبَ العيـدُ فـي قـومي وأنكـرهم علـــى الميـــادين أحـــراراً وعُبـــدانا

وقد وجد بدوي الجبل في الشعر أسلوباً لمواجهة الاغتراب النفسي، إنّه وإنْ حملَ الحزنَ وراح دمعه ينشد الحزن، فإن القصائد يبقى أفضلها تلك التي توحيه العاطفة، فتكون القصيدة حينذاك أفضل ما يواجه الاغتراب ويتحداه، يقول:[4]

وأحـــزنُ الشـــعرِ بيـــتٌ راحَ يُنشـــدهُ دمـــعٌ تحـــدّرَ مـــن أجفـــانِ مكتئـــبِ
خيـــرُ القصـــائدِ مـــا أوحتـــهُ عاطفـــةٌ فســـارَ فـــي كـــلّ دنيـــا غيـــرَ مغتـــربِ

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص431
[2] المرجع نفسه، ص81
[3] المرجع نفسه، ص155
[4] المرجع نفسه، ص593

ويذهب الشاعر بدوي الجبل إلى أن العبقري يصيبه الاغتراب حتى ولو كان في موطنه، لما يلاقي من حقد وحسد، يقول:[1]

والعبقـــريُّ غريـــبٌ فـــي مواطنِـــهِ يـدورُ حيـث يـدورُ الحقـدُ والحسَـدُ

وتتعدد أبواب الاغتراب النفسي عند الإنسان، وتختلف بواعثه ودوافعه، ولذلك آثر البحث أن يشير إليها منفردةً، مشفوعةً بشواهدها وأدلتها:

اليأس

واليأس من بواعث الاغتراب النفسي، وهو حالة وجدانية قد تدفع إلى الإحباط والاكتئاب، وفي مرحلة مبكرة من عمر الشاعر بدوي الجبل تراه ينظم قصيدة تحت اسم (نشوة اليأس)، يصوّر الشاعر كيف جفّت دموعه، وتعلقه بالشقاء الذي أفضى إلى اليأس، فكانت لليأس نشوة ليست للرجاء نفسه، يقول:[2]

غـــيّضَ الـــدّهرُ أدْمُعِـــي واحنينـــي إلـــى البُكَـــاءْ
شُـــقَّ قلبـــي ولـــم تســـلْ مـــن جراحاتِـــهِ الـــدِّمَاءْ
أيّهـــا المـــبغضُ الشّـــقَاءَ أنـــا أعشـــقُ الشَّـــقَاءْ
إن لليـــأسِ نشـــوةً ضـــلَّ عـــن مثلِهـــا الرَّجَـــاءْ

إن بدوي الجبل يمجّدُ يأسه وألمه، وبات يرى فيه نشوةً، فهو يحاول أن يتغلب على مشاعر اغترابه بتقبّلها والتكيّف معها، بل والاندفاع إليها كذلك، وقد بلغت حالة الاغتراب النفسي عند بدوي الجبل حدّاً جعله يبحث عن الموت لعله يجد فيه راحته، مخالفاً بذلك الناسَ الذين وجدوا في الموتِ سُمّاً، ووجدَ الشاعر نشوةً ومداماً، يقول مخاطباً الموت:[3]

وجـــدَ النّـــاس فـــي كؤوســـكَ سُـــمّاً غيـــرَ أنّـــي وجـــدّتُ فـــيهنَّ راحـــا

وهو ذاته الذي وجدَ في اليأس دواءً، إن الشاعر بعد أن قد طغى عليه اليأس وبه أصابه الاغتراب النفسي، رأى أن يتأقلم مع حاله، فصارَ يبحث عن اليأس الذي كان داءَه فصارَ دواءه، يخاطب نديمه فيقول:[4]

ودعِ اليـــأسَ ينتحينـــي ففـــي الـــ يـــأسِ لـــداء الـــنفسِ الطَّمـــوحِ دواءُ

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص370
[2] المرجع نفسه، ص595
[3] المرجع نفسه، ص595
[4] المرجع نفسه، ص609

الحزن والبؤس

يرى الشاعر بدوي الجبل أن الالتصاق بين الشاعر والبؤس هو الحالة التي خُلِقَ عليها، فهما صديقان لا افتراق بينهما، ويقر بغربته وغريب أمره الذي جعله يشرب السم ويترك السلسبيل، يقول:[1]

خُلِــقَ الشــاعرُ والبــؤسُ معــاً فهمــا خــلّانِ لــم يفترقــا
أنــا إنســانٌ غريــبٌ أمــرُهُ شــربَ الســمَّ وعــافَ السلســبيلا

وبات يرى أنّ قلب الغريب البعيد الحزين يُسعدُه البكاء، فضلاً عن كون الحزن يرسل الشعرَ ويعلّم فنون القول، يقول:[2]

يــا نــديمي إلــيَّ نبكــي فقــد يُســعِدُ قلــبَ النــائي الحــزينِ البكــاءُ
إنمــا الحــزنُ مُرسِــلُ الشــعرِ شــعراً والحَزانــى هــمُ هــمُ الشّــعراءُ

يتجه البدوي في ذلك إلى تمجيد الألم، وكأنه بات يبحث عن مزيد من الاغتراب، ليتداوى به منه، والحزن مرتبط بالشعراء، بل إن الحزانى –في نظره– هم الشعراء.

ولعل الاغتراب النفسي من مرافقات الاغتراب المكاني، فلا شك في أن غربة المكان وقد نأى البدوي عن أهله وعياله، دفعته إلى الأسى والحزن، إنه يستعيد عذوبةَ الحنان في عيون أبيه، وشذى صغارِه وأحبابه، يقول مخاطباً رسولَ الشوق:[3]

وانــزل علــى خيــر الأبــوّة رحمــةً تســعُ الحيــاةَ وعفّــةً وصَــلاحا
وأَطِــلْ حــديثَكَ يســتعدْهُ تعلّــلاً بالــذّكر لا لتزيــدَهُ إيضــاحا
وإذا ألــحَّ فللحنــانِ عُذوبــةٌ فــي مقلتَيــهِ تُحبِّــبُ الإلحاحــا
والــثمْ أحبّتــي الصِّــغَارَ ورُفَّهــا غُــرراً نــواعمَ كــالورودِ صِــباحا

وعاش البدوي أوج اغترابه النفسي والعاطفي، إذ رأى أن عاطفته مزيجٌ من الحزن الطويل على ما مضى من عمر، وما كان من مستقبل، وهي لحنٌ يحرّك الأسى ويخلق الهمّ، يقول:[4]

عــاطِفَتي حُــزنٌ طويــلٌ علــى مــاضٍ مــن العمــرِ ومســتقبلِ

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، 550
[2] المرجع نفسه، ص612
[3] المرجع نفسه، ص99
[4] المرجع نفسه، ص625

عـــاطِفتي لحـــنٌ يثيـــرُ الأســـى ويخلُـــقُ الهـــمَّ بقلـــبِ الخلِـــي

غير أن الشاعر وإن حملَ الأسى والحزن في نفسه، وطوته تفاصيل الدموع والبكاء، وأخذه الاغتراب النفسي إلى حيث بات يجد نفسَه مغترباً في كل طريق، فإنه غدا يرى في حزنه ساحةَ جمال، وواحة ظلال، حتى همومه جميلة وأحزانه خميله، يقول:[1]

إنّ قلبـــي خميلـــةٌ تنبـــتُ الأحـــزانَ وردَاً ونرجســـــــاً وشـــــــقيقا

همّـــي الهـــمُّ لـــو تكشّـــفَ للنـــاسِ لأغـــــرى حُســـــناً وراعَ بريقـــــا

ويرى البحث أن بدوي الجبل يتعلق بأحزانه رغم قساوتها، فهو يراها أحزاناً مشرقة وضيئة، تُلهم الشاعر، وتخطف الحُسن وتثير الإعجاب، إنها وإن بدت ظاهرةً لكنّ أحلاها ما تستّرَ وتخفّى، يقول:[2]

ويـــا ربِّ أحزانـــي وضـــاءٌ كـــأنني ســـكبتُ علـــيهنَّ الأصـــيلَ المُـــذهّبا

وقـــد تبهـــرُ الأحـــزانُ وهـــي ســـوافرٌ ولكـــنَّ أحلاهـــنَّ حزنـــاً تنقّبـــا

حتى وصل الشاعر إلى مرحلة بات يدلل فيها آلامه، ويحنو عليها ويشفق، يقول:[3]

إنّـــي أدلّـــلُ آلامـــي وأمســـحُها مســـحَ الشـــفيقِ وأجلوهـــا وأنتقـــدُ

الفراق والوداع

وكان الفراق ولحظات الوداع من بواعث الاغتراب النفسي، الفراق الذي يترك أثره في النفس، ويخلق البُعدَ والمسافة، ورحيل الأحبة الذي يحاصر الذات بالبحث عن الطيف المفقود، يقول:[4]

إنـي ليشـجيني سـكونُك فـي الثـرى قَسْـــراً وكنـــتَ القائـــلَ الفعّـــالا

فيحـــزُّ فـــي نفسِـــي أســـىً ومـــرارةً أنـــــي أراكَ توهّمـــــاً وخيـــــالا

وتتكرر صورة الموت والرحيل، فوداع الأحبةِ الذي كان، ليس له أن يحتمله، فما عاد قلبه يصبر عن غيابهم، حتى غدا الرحيل نفسُه أمنيةً للشاعر لعله يلقى الأحبة ويلحق بهم، يقول:[5]

راعَ قلبـــي الرّحيـــلُ حتّـــى تـــوليتم فأشـــهى المنـــى إلـــيَّ الرّحيـــلُ

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص139

[2] المرجع نفسه، ص192

[3] المرجع نفسه، ص261

[4] المرجع نفسه، ص714

[5] المرجع نفسه، ص295

ويظل الشاعر يتطلع إلى الديار حين ابتعدَ عنها، وقد ترك ذلك البعد في نفسه اغتراباً مليئاً بالشوقِ والحنين، حتى بات يرى الربيع مشرّداً مثله، إذ سافر معهما الشذا، وطيورُ وطنه تركت تغريدها، والنور والجَمال والخمائل كلها تسأل عن موعد العودة، يقول مخاطباً الشام:[1]

أنـــا والربيـــع مشـــرّدان وللشـــذا معنـــا ذهـــابُ
والنـــورُ يســـألُ والخمائـــلُ والجمـــالُ متـــى الإيـــابُ؟

الحب

وتتأجج في نفس البدوي عواطف الحب، حتى يتناغمَ مع عواطفه تلك، كما يألف نفسَه في الحب على ما أرادت المحبوبة له ذلك، وما الاغتراب العاطفي الذي يصيبه إلا حين يتغيّر عما أرادت له المحبوبة ذلك، وهي (الخالقة) لمشاعره الفتية القوية، يقول:[2]

ألفتُ نفسي على ما صُغتِ جوهرَها يـا غربتـي عنـدَ تحـويري وتغييـري

ويسكن الحبُّ قلبَ الشاعرِ، وتعيش التفاصيلُ في وجدانِه، حيث النعماء والأسرار، ولا يصيبه الاغتراب إلا حين يتحوّل ذلك الهوى عن مواطنه، يقول:[3]

هـواكِ عنـدي مقـيمٌ فـي مواطنِـهِ فـإنْ تحـوّلَ عـن نعمائِهـا اغتربـا

ولبدوي الجبل في الحب فلسفته الصوفية الوجدانية، وإن كان يعترف بسقم المحبّ متى نأى عن هواه وحبه، أو ابتعد عن محبوبه وحيل بينهم، يقول:[4]

تعللـتُ لا أشـكو سـقاماً ولا أذىً بلـى كـلُّ نـاءٍ عـن هـواهُ سـقيمُ

وتغدو صورة بكاء الحبيب عند الشاعر مما يرد في شعره في أكثر من موضع، في سياق الغربة والموت والعمر القصير، يقول:[5]

قـد رأوا لـيلاي تـذري دمعَهـا كـرَّم اللهُ الـدموعَ الطّـاهره
فـإذا مـتُّ غريبـاً نائيـاً وأنـا فـي التسـعِ بعـد العاشـره

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص83
[2] المرجع نفسه، ص519
[3] المرجع نفسه، ص493
[4] المرجع نفسه، 221
[5] المرجع نفسه، ص698

اذكريني واحفظي عهدَ الهوى وانـدبي شؤمَ الجدودِ العائره

بل يصبح الهوى بمنظور الشاعر صورة الأحزان والأشجان، ويرى أن جوهر الحب هو ذلك الألم الذي يتركه الحب في نفس المحبّ، يقول:[1]

حدّثيني عن الهوى حدّثيني وأثيري كوامنَ الأشجانِ

ويخاطب الشاعر محبوبته مخبراً إياها بموته وبفراقه، فغدا الماضي أليماً حزيناً، إنه يرجو منها ألا تدخل الغابةَ عند المساء، ففي الغابة قبر الغريب الحبيب، ذلك القبر الذي تناسته الحبيبة، يريد الشاعر منها ألا تدخل اغترابه أو تعيشه، وأن تبقى بين الورود الجميلات، يقول:[2]

لا تدخلي الغابةَ لا تدخلي فإنّ في الغابةِ قبرَ الغريبْ

قبرَ الحبيبِ قد تناستِهِ أهكذا ينسى الحبيبُ الحبيب؟

الضياع

ويشعر بدوي الجبل بالضياع وقد تُرِك بين الصدود والتجني، فخاطبَ البلبلَ بالقول:[3]

وتعلّمْ كيفَ يبكي شاعرٌ ضاعَ ما بينَ صدودٍ وتجنّ

ومما يزيد الشاعرَ ضياعاً واغتراباً، تلك المسافة التي يجدها بين مظهره وجوهرِه، وبين المعاني والمباني، وبين الروح والجسد، فهو يشعر أن روحه طاهرة، غير أن جسده آثمٌ، يقول:[4]

ربِّ روحي طليقةٌ في سماواتكَ والجسمُ موثَقٌ مغلولُ

بَعُدَ الفرقُ بين روحي وجسمي جسدي آثمٌ وروحي بتولُ

2.6.2. الاغتراب النفسي والعاطفي في شعر عمر أبو ريشة:

دأب عمر أبو ريشة يبحث عن التفرد في شعره، فجاء اغترابه النفسي كذلك نموذجاً مختلفاً من الاغتراب، إنه بين أن يعترف به الشاعر أو ينكره، وبين أن يشعر به أو يقهره، يحاول فيه أبو ريشة كثيراً ألا

---

[1] بدوي الجبل، **ديوانه**، ص687

[2] المرجع نفسه، ص637

[3] المرجع نفسه، ص693

[4] المرجع نفسه، ص293

يستسلم للغربة والاغتراب رغم كل التفاصيل التي مرت به، لكنها أصابته، تلك التي سمّاها غربة الأحرار، يقول:[1]

فيا غربة الأحرارِ ما أطولَ السُّرى ومـلءُ غيابـاتِ الـدروبِ غياهـبُ

وليست الوحدةُ وحشةً أو ضرباً من دلالات التغرب عند عمر أبو ريشة، فالشاعر كان يبحث عن هذا النمط من الاغتراب لأنه نمط يجعله متميزاً عن السياق العام، يقول:[2]

وحلّقـــتُ وحـــدي ولا كوكـــبٌ يطـــالعني مـــن خـــلال الضـــبابْ

إنه اغتراب نفسي يشبه إلى حد كبير رحلة البحث عن التميّز في كل شيء، فالشاعر عمر أبو ريشة يبحث عن التحدّي، ومواجهة الاغتراب أياً كان، عازماً على قهر اغترابه النفسي والعاطفي أمام ما يعتريه من تحولات نفسية، يقول:[3]

صَـــغُرَ اليـــأسُ لـــن يـــرى بـــين جفنـــيَّ مقصـــدَه

بســـــماتي ســـــخيّةٌ وجراحـــــي مضـــــمّدَه

غير أن الشاعر مهما حاول مجابهة اغترابه لكنّه ما ينفك يبث لواعجه وعواطفه، بما أصابه من هموم وتسهيد، هو ذا يعاتب غربتَه، يقول:[4]

يـــا غربتـــي.. كـــم ليلـــةٍ قطّعتُهـــا نِضـــوَ الهمـــومِ علـــى يـــديكِ مُســـهّدا

أطعمتِنـــي فـــي كـــلِّ حلـــمٍ مُتـــرَفٍ وضـــربتِ لـــي فـــي كـــلِّ أفـــقٍ موعـــدا

إنها غربةٌ خاصة، تأخذ إلى الأحلام المترفة، وتوصل إلى شتى الآفاق، ومع ذلك يجد البحث بواعثَ عديدة للاغتراب النفسي عند عمر أبو ريشة.

اليأس

إن عمر أبو ريشة رغم تحديه اليأسَ الذي لن يرى منه مقصده، يضعفُ أمام غربته فيصيبه اليأس بها، فيشتد روح التحدي لديه، ولم يعد يرجو أن تفك الغربة عنه القيود، لأنه بات يرى أن العمر قد فات، ولم يعد ينتظر شيئاً سوى الموت، بعد أن غدت حياته عنوانَ اغترابٍ يُسمّى به، يقول:[1]

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص306

[2] المرجع نفسه، 317

[3] المرجع نفسه، ص34

[4] المرجع نفسه، ص122

يـــا غربتـــي لا تطلقـــي أســـري لـم يبـقَ لـي فـي العمـر مـا يُغـري
ســـيري بتـــابوتي إلـــى قبـــره وانتصـــبي يومـــاً علـــى القبـــرِ!

الحزن

يرتد أبو ريشة حزيناً باكياً بعد طول غربة ونوى، يتساءل عن هيكله الذي بات طيفاً شريداً في وحشة الغربة، حتى غدت الذكريات تنكأ جراحه، وبات الشاعر يرجو لو أن نوافذ الذكريات ظلت مقفلة، يقول:[2]

هـــو ذا هيكلـــي! فمـــاذا حبـــاني بعـــد طـــولِ النّـــوى ومـــاذا رأيـــتُ؟
تعبـــتْ فيـــه ذكريـــاتي فنامـــتْ وإذا شـــاءَ هزَّهـــا... لأبيـــتُ
فتلمّســـتُ فـــي دُجـــاهُ مكـــاني ثـــم أشـــعَلْتُ شـــمعتي.. وبكيـــتُ!

الفراق والوداع:

وتهزُّ الشاعرَ الوحدةُ والوحشة بعد وفاة والده، ويظل قلبه مرتبطاً بأبيه، متعلقاً به، ولا شيء يكشف عن سرّ هذا التعلق –كما يرى الشاعر– سوى الموعد السمائي المنتظر، يقول:[3]

نـــاداك تحنـــاني فمـــا أســـمعك فاذهـبْ فـداك الشـوق، قلبـي معـكْ
سِـــــرنا حينـــــاً، وخلّفتنـــــي وحـدي.. علـى الـدّربِ الـذي ضـيّعكْ

ويستفز موتُ الأحبةِ مزيداً من الأسى، ولا يكاد الشاعر يعرف من ذلك الموت إلا البُعد والنوى، في محاولة لاستحضار الخيال لمواجهة الوحدة والاغتراب، يقول عمر أبو ريشة في وفاة نسيبه جميل مراد:[4]

لســتُ أدري إلا نـواكَ، فلـن ألقـاكَ مـــن بعـــدهِ ولـــن تلقـــاني
غبـــتَ عنـــي إلا خيـــالاً حبيبـــاً للتنـــاجي ولـــيس للســـلوانِ

الحب

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص302
[2] المرجع نفسه، ص53
[3] المرجع نفسه، ص56
[4] المرجع نفسه، ص58

وفي الحبّ تتجلى صورة الشاعر عمر أبو ريشة وهو يعاني تباريح الهوى والشوق، غير أنّ صورة كبريائه لا تكاد تفارقُ نفسَه، سوى أن ذلك لا ينجح دوماً في قهر اغترابه النفسي والعاطفي، إنه يصوّر عودةَ محبوبته إليه بعد أن نأى شوقها، إلى درجة أن الصبر والألم تخدّرا، وتجمّدت بقايا الذكريات التي لم تعد تجيد البكاء أو التبسم يقول:[1]

عـدتِ لـي؟ هـل عـاد مـن غربتـه شـوقُكِ المُضّـطربُ المُضـطرمُ؟
عـدتِ لـي؟ يـا طولَهـا مـن غربـةٍ خَـدِرَ الصـبرُ بهـا والألـمُ
أمنيـاتي.. ذَهَـبَ الماضـي بهـا وخيـالاتي.. طواهـا العَـدَمُ
وبقايـا ذكريـاتي تعِبـتْ فهـي لا تبكـي... ولا تبتسـمُ!!

ويرصد الشاعر أحاسيس أنثاه المغتربة كذلك، ويشعر بما تمر به، من وحشة وشوق وحزن، فهي تعاني بعد غيابه، وتأسى نادمة لأنها لم تحقق له أمانيه، ولم يبق لها سوى هذا الألم، يقول:[2]

غـابَ ولـن يرجـعَ يـا ليتنـي أعطيتُـه بعـض أمـاني الحيـاةْ!
أشـعرُ بالوَحشـةِ مـن بعـدِه ولـم يكـن لـي فيـه مـن أمنيـاتْ!
مـا لـي إذا مـا زارنـي طيفُـه أمسـحُ مـن أجفـاني الـدّامعاتْ

حتى باتت أغاني الشاعر وأناشيده من جراحاته المضمدة، وبات صوت غنائه دليلاً على احتضار ووداع، يقول:[3]

لا تسـأليني مـا ترجـوه أغنيتـي بعـضُ الطيـورِ تغنّـي.. وهـي تُحتضَـرُ!

وما يزال كبرياء الشاعر عمر أبو ريشة تطوله الجراح، حتى صوّر خسارته لكِبْره الذي يعتد به أمام الحب ومشهد مَن يحب، يقول:[4]

غالبـتُ فيـكِ غـوايتي فخسـرتُ فيهـا كـلَّ كِبـري
كـم وقفـةٍ لـي دونَ دارِكِ خضّـبَت بالـذلِّ صـبري

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص144
[2] المرجع نفسه، ص145
[3] المرجع نفسه، ص169
[4] المرجع نفسه، ص172

وفي غير موضع يعترف بوحشته وغربته محمّلاً نفسه ذنباً يعيشه، لأنه أراد أن يصوغ عهودَ حبه من الكبر ومن الوهم المبدع، يقول:[1]

تناسَـــي عهـــودي فقـــد صُـــغتُها مـــن الكبـــرِ مـــن وهمـــيَ المبـــدعِ
دعينـــي إلـــى وحشـــتي واغفـــري لمـــا كـــان منـــي ولا تـــدمعي

إنه ورغم كلّ جراح الغربة التي يعيشها معها، ما يزال يبحث عن محبوبته المفقودة، آملاً أن يلقاها بكل مشاعر حبه، بعيداً عن غربته، يقول:[2]

ولـي خطـواتٌ بعـدُ فـي دربِ غربتـي ســأقطعُها وثبــاً وأخضــبُها دمَــا
وألقــاكِ بالحــبِّ الــذي تعرفينــه ولــن تســألي عنــه.. ولــن أتكلمــا

وتتجدد صورة الغربة بين الشاعر ومحبوبته حيث يلتقيان لقاء الغرباء، لقاء لا يعني أحدا منهما في شيء، يقول:[3]

وتلاقينـــــا غـــــريبين هنـــــا لـــم تكـــن أنـــتَ.. ولا كنـــتُ أنـــا!

ويتلوى الشاعر على الأيام التي قضاها مع المحبوبة غريباً، تحول بينهما حواجز الصمت رغم قرب المسافة، ليخنق كلّ واحدٍ منهما شوقه واغترابه، يقول:[4]

كيـف عشـنا غربـاء فـي الحِمـى كيـــف قطّعنـــا الليـــالي نوّمـــا
ومضـــى كـــلٌّ إلـــى ملعبِـــه يخنـــقُ الشـــوقَ ويُخفـــي الألمـــا

مقارنة ونتائج:

---

[1] أبو ريشة، **ديوانه**، ص297
[2] المرجع نفسه، ص177
[3] المرجع نفسه، ص183
[4] المرجع نفسه، ص187

تبدّى الاغتراب النفسي والعاطفي في شعر بدوي الجبل وتجلى في بواعث اليأس والحزن والبؤس والفراق والوادع والحب والضياع، وقد تعلق الشاعر بآلامه واغترابه، فهي غربة العبقري كما سمّاها، وبدا الشاعر يمجّد أحزانه؛ لأنها تخلق الجمال والنشوة في نفسه.

أراد بدوي الجبل أن يقهر اغترابه النفسي بالتكيّف والتناغم مع ما يصيبه، وتحويلها إلى مصدر إبداع وجمال.

أمّا عمر أبو ريشة فقد تجلى الاغتراب النفسي لديه على صورةٍ معاندة وكبرياء، وتنوعت بواعث اغترابه النفسي والعاطفي بين الحزن واليأس والفراق والوداع والحب والعاطفة، لكنها بواعثُ مقيّدة، لا تستطيع أن تفعل في الشاعر ما تريد إلا بمقدار ما يسمح لها الشاعر، تأخذه إلى عالم من التحدي والكبرياء، فلا يستسلم لها إلا في مواضع نادرة، وهو يقهرها بصورةٍ المختلف عن سواه، المؤتلف مع ذاته التي تأبى أن ترى انكساراً.

الخاتمة

إن المقارنة التي أجراها البحث بين الاغتراب في شعر بدوي الجبل وشعر عمر أبو ريشة في ضوء ما ورد من أبيات شعرية تجلى فيها الاغتراب بأنواعه الستة أفضت إلى جملة من النتائج وجدها البحث من خلال التفاصيل والشواهد الشعرية، أبرزت نقاط الاتفاق والاختلاف في تناول ظاهرة الاغتراب عند الشاعرين، ومدى علاقة هذه الظاهرة بطبيعة الشخصية الفردية لكلٍّ منهما، وإن جمعت بينهما الظروف الواحدة، وأبرز تلك النتائج:

- كشف البحث عن تجلي الاغتراب المكاني في شعر بدوي الجبل وجدانياً ذاتياً وعند أبو ريشة اغتراباً ذاتياً فلسفياً وموضوعياً.
- ارتبط الاغتراب المكاني عند بدوي الجبل بعلاقته بالوطن، بينما لم يكن كذلك عند أبو ريشة.
- الاغتراب الزمان الذاتي عند بدوي الجبل هو اغتراب ذاتي وجداني مصحوب بالأسى والحزن، وعند أبو ريشة هو اغتراب استثنائيٌّ مصحوبٌ بالعِناد والاستنكار والكبرياء.
- الاغتراب السياسي الوطني عند بدوي الجبل شكا فيه الاستعمار وأنظمةَ الحكم الظالمة، أمّا الاغتراب السياسي الوطني عند أبو ريشة فقد اقتصر على المناسبات الكبرى كجلاء المستعمر، محمّلاً أنظمةَ الحكم والشعبَ المسؤولية.
- عانى كلا الشاعرين في الاغتراب السياسي القومي من حال الأمة العربية والوطن العربي ولا سيما القضية الفلسطينية.
- حمل بدوي الجبل في الاغتراب السياسي العالمي موقفاً من النظام الدَولي، فهاجمَ هيئة الأمم المتحدة، ولم يحمل أبو ريشة الموقفَ ذاتَه، إلا فيما يتعلقُ بنظام الوصاية والانتداب.
- عانى الشاعران من الاغتراب الاجتماعي الذاتي، وتميّز بكثرة مواضعه عند بدوي الجبل.
- تجلى الاغتراب الديني عند الشاعرين في الموضوعات المشتركة، كالمسجد الأقصى واستدعاء الشخصيات التاريخية ووصف هوان الأمة وضعفها، وتميّز أبو ريشة بالاغتراب الديني عن المسيحية، والاغتراب الديني الذاتي الوجداني بوصفه مسلماً.
- تبدى الاغتراب النفسي والعاطفي عند بدوي الجبل حزناً وأسًى، وعند أبو ريشة ظهرَ ببواعثَ أرادَ الشاعر تقييدها كي تأتي بصورةٍ مؤتلفة مع كبريائه.

المصادر والمراجع

الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين، **أدب الغرباء**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 1972.

الألوسي، عادل، **الاغتراب والعبقرية**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

البحتري، أبو عبادة التنوخي الطائي، **ديوان البحتري**، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3، مج 2.

التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس، **الإشارات الإلهية**، تح: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1982.

الجاحظ، عثمان بن عمرو، **رسائل الجاحظ**، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج2.

جحا، ميشال خليل، **الشعر العربي الحديث**، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ط1، 1999.

الجيوسي، سلمى الخضراء، **الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث**، تر: عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2019.

حداد، د. غسان محمد رشاد، **من تاريخ سورية المعاصر**، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، عمان، ط1، 2001.

الحراسيس، آمال عبد المنعم، **ظاهرة الاغتراب في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام**، أطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2016.

خشروم، عبد الرزاق، **الغربة في الشعر الجاهلي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982.

خليفة، عبد اللطيف محمد، **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، دار غريب، القاهرة، 2003.

الخيّر، هاني، **بدوي الجبل عملاق الكلاسيكية المعاصرة**، دار رسلان، دمشق، 2010.

الداية، فايز، **دلالات السيرة والأسلوب عند عمر أبو ريشة**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2018.

بدوي الجبل، **ديوان بدوي الجبل**، دار العودة، بيروت، 1978.

..... **ديوان بدوي الجبل**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2016.

رجب، محمود، **الاغتراب سيرة مصطلح**، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1988.

زريق، قسطنطين، **معنى النكبة مجدداً**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1976.

زين العابدين، بشير، **الجيش والسياسة في سورية**، دار الجابية، 2008.

ضيف، شوقي، **دراسات في الشعر العربي المعاصر**، دار المعارف، مصر، 1959، ط2.

عبود، مارون، **مجددون ومجترون**، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ت.

أبو ريشة، عمر، **الأعمال الكاملة**، تح: فايز الداية وسعد الدين كليب ومحمد قجة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2017.

العنزي، صغير عبد الله، **الاغتراب في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث**، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1423هـ.

فروجي، رابح، **التجربة الشعرية في شعر بدوي الجبل**، أطروحة دكتوراه، جامعة فرحات عباس، الجزائر، 2011.

الفلاحي، أحمد علي، **الاغتراب في الشعر العربي**، دار غيداء، عمان، ط1، 2013.

قباني، نزار، **قصائد مغضوب عليها**، الأعمال السياسية الكاملة، بيروت، دار نوفل، 2008، ط3، مج6.

لونغريغ، ستيفن هاملي، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، تر: بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت، د.ت.

مبروك، أمل، **فلسفة الموت**، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2011.

المتنبي، أحمد بن الحسين، **ديوان المتنبي**، دار بيروت، بيروت، 1983.

ابن منظور، محمد بن مكرم، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقي، **لسان العرب**، دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414هـ.

المختار، محمد خضر، **الاغتراب والتطرف نحو العنف**، دار غريب، القاهرة، 1999.

مروة، إسماعيل، والخوري، نزيه، **بدوي الجبل سيف الشعر العربي الحديث**، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2018.

..... **عمر أبو ريشة شاعر الكبرياء والصور**ة، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، 2017.

مسلم، **صحيح مسلم**، تح: محمد فؤاد زكريا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1.

مونسي، حبيب، فلسفة المكان في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

المجلات والدوريات:

الأشتر، عبد الكريم، **الرؤى الفكرية والفنية في شعر بدوي الجبل**، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 82، الجزء 3، د.ت.

جمعة، حسين، **الاغتراب في حياة المعري وأدبه**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد1 و2، 2011.

الجمل، يحيى، **الحرية في المذاهب السياسية المختلفة**، عالم الفكر، مج 1، ع 4، يناير، 1971.

حنفي، حسن، **الاغتراب الديني عند فيورباخ**، عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الأول.

حسن، محمد سليمان، **بدوي الجبل: دراسة في حياته وشعره**، مجلة المعرفة، العدد 464، 2002.

عثمان، هاشم، **بدوي الجبل تصحيح وتوضيح**، مجلة المجمع العلمي العربي، 1 أكتوبر، 1982.

ماكوري، جون، **الوجودية**، تر: إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، أكتوبر، 1982.

النوري، قيس، **الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً**، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد 1، 1979.

Özgeçmiş

Kişisel bilgiler

Ad Soyad	:	**Hüseyin Elcüneyt**
Doğ Yeri Ve Tarihi	:	HASSAKA/SURIYE - 1983
Cep Tel	:	00905375030430

Eğitim

Ana Dil	:	Arapça
Yabancı Dil	:	Türkçe - İngilizce
Branş	:	Arapça
Yüksek Lisans	:	Mardin Artuklu Üniversitesi
Lisans	:	Aleppo Üniversitesi

السيرة الذاتيّة

الاسم والنسبة	:	حسين الجنيد
مكان وتاريخ الولادة	:	حسكة- سوريا - 1983
الهاتف	:	0090 5375030430
اللغة	:	العربيّة
اللغات الأجنبيّة	:	التركيّة والإنجليزيّة
الاختصاص	:	اللغة العربيّة
الماجستير	:	جامعة ماردين آرتوقلو
الإجازة (الليسانس)	:	جامعة حلب

T.C.

MARDİN ARTUKLU ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

İNTİHAL RAPORU

Tez Başlığı: Ömer Ebu Rişe ile Bedevi el-Cebel'in Şiirlerinde Yabancılaşma

Yukarıda başlığı gösterilen Tez çalışmamın kapak sayfası, giriş, ana bölümler ve sonuç kısımlarında oluşan toplam 118 sayfalık kısmına ilişkin 20/01/2020 tarihinde Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürlüğü tarafından ''Turnitin'' adlı intihal tespit programından aşağıda belirtilen filtrelemeler uygulanarak alınmış olan orjinallik raporuna göre, projemin benzerlik oranı % 11'dir.

Uygulanan Filtrelemeler:

Kaynakça Dahil

Alıntılar Hariç

Açıklamalar:

Mardin Artuklu Üniversitesi ''Turnitin'' adlı intihal tespit programı sonucunda; azami benzerlik oranlarına göre Tez çalışmamın herhangi bir intihal içermediğini; aksinin tespit edileceği muhtemel durumda doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi ve yukarıda vermiş olduğum bilgilerin doğru olduğunu beyan ederim.

Adı Soyadı: Hüseyin ELCÜNEYT

Öğrenci No: 17800027

Programı :Temel İslam Bilimleri

Statüsü :Tezli Yüksek Lisans

Tarih ve İmza
20/01/2020

Enstitü Sekreteri

Hasan TAN